قافلة الزيت

محرّم ١٣٨٦

ابريل - مايو ١٩٦٦

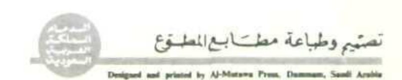


بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

صورة الغلاف

تطور العمران في مكة المكرمة
تصوير : عبد اللطيف يوسف



تصميم وطباعة مطابع المطوع
Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

في سبيل المعرفة

ان المعرفة تنبع من النفس ، تخرج كالأشعة فتظهر لنا معالم الطريق واضحة جلية .

وقيل انها تأتينا على شكل تربية وعلوم وأفكار يلقننا إياها الغير منذ اللحظة التي تتفتح فيها عيوننا للنور ، فتصبح جزءا منا لا يتجزأ .

ولو قبلنا التشبيه القائل بأن المخ البشري هو بمثابة معمل كيمي حباه الله تعالى بكل ما يلزمه من الأجهزة والمعدات لكانت هذه الأشتات من المعرفة التي يعطينا إياها الغير والتي تصلنا عن طريق حواسنا، هي بمثابة المواد الأولية الضرورية التي بدونها لا يمكن لهذا المعمل أن ينتج . وهنا يجدر بنا أن نقف هنيهة لنتساءل ما اذا كان وجود هذه المواد والعناصر كافيا للاستفادة من هذا المعمل . والجواب المنطقي هو بالنفي طبعا، اذ أن هذه المواد قد تبقى على حالها دون تبديل ، أو تتفاعل بشكل خاطىء .

وأكبر دليل على هذا أن كثيرين منا لا يطلعون على الدنيا بفكرة جديدة أو عمل فريد، فهم يعيدون على مسامعنا ما تعلموه دون تحسين أو اضافة . وهؤلاء الناس لا يستغلون من امكاناتهم الفكرية سوى الذاكرة يختزنون فيها مما يتعلمون .

ان هذا المعمل الذي لدينا بحاجة دائمة الى كيمي خبير مدرك ببواطن الأمور ، يعرف كيف يستغل الطاقة والعناصر المتوفرة لديه في تفاعلات مدروسة تحول المواد الأولية والفلزات الى منتجات مفيدة ذات قيمة ، منتجات جديدة براقة لها مكانة وصدارة .

والانسان الناجح ، الذي يعرف كيف يفكر ، هو مثل ذلك الكيمي الخبير ، يجمع الخبرات العديدة والمعارف التي يكتسبها من صميم واقعه، من مطالعاته ودراساته، من مجتمعه ومحادثاته ، من تأملاته وتجاربه ، ثم يمزجها وينشطها فتتفاعل وتذوب في بوتقة عقله ، فتتكون لديه نتيجة ذلك أفكار جديدة وآراء مفيدة قد تكون ذات أهمية وشأن ..

والاستفادة من شذرات المعرفة التي تأتينا من طرق عديدة متفرعة ، فن ومران . وكلما حاولنا أن نفكر ونستنتج كلما ازدادت مقدرتنا ، وتبلورت معارفنا واتسعت مداركنا . ولعل خير معلم للمرء هو المرء نفسه . والغذاء الذي نتناوله في طعامنا لا يفيدنا الا اذا هضمه الجسم واستخلص منه حاجته . والمعرفة التي تأتينا من الغير لا تزيدنا علما الا اذا هضمتها عقولنا وحولتها الى استنتاجات مفيدة .

وأول خطوة نحو المعرفة هو اعترافنا ضمنا بأننا في حاجة اليها . ومن يشعر في قرارة نفسه انه يعرف ما فيه الكفاية لا يمكن أن يتعلم . ومن منا لا يحتاج حقا الى ورود مناهل العلم والمعرفة، وهل لهذا المطلب نهاية ؟

لعلنا جميعاً نريد أن نكتسب المعرفة ولكننا لا نحب أن يعلمنا أحد . وهذا ما عبر عنه أحد كبار رجال الفكر في العصر الحديث بقوله : أنا على استعداد لتلقي المعرفة دون انقطاع ، ولكنني لا أرغب دائما في أن يعلمني الغير .

فؤاد الريس

قافلة الزيت

العدد الأول — المجلد الرابع عشر

تصدر شهرياً عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجاناً

مديرها ورئيس تحريرها : شفيق الدين عاشور

المحرر المساعد : فؤاد الريس

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ ، الظهران ، المملكة العربية السعودية



فلسفة الفن عند «الحكيم»

بقلم: الدكتور زكريا ابراهيم

اذا كان جمهور القراء في الوطن العربي قد عرف توفيق الحكيم الروائي ، وتوفيق الحكيم الكاتب المسرحي ، فانه لم يعرف حتى الآن توفيق الحكيم « فيلسوف الفن » . ولم يكن من قبيل الصدفة أن يوجه الحكيم جانبا كبيرا من عنايته الى دراسة الفن والتعمق في فلسفة الجمال ، فقد أتيحت له الفرصة – أثناء دراسته بباريس – للوقوف على شتى ألوان الفنون ، والتعرف الى مختلف الاتجاهات الفنية . وهو نفسه يقول بصراحة في احدى رسائله : « ... يكفيني أن أقول لك انه لا يوجد مكان في العالم ترى فيه الفنون كلها مجتمعة سوى باريس . فهي الواجهة البلورية التي تعرض خلفها عبقرية الدنيا . » والمتأمل في الرسائل التي نشرها الحكيم تحت عنوان « زهرة العمر » يجد في تضاعيف أحاديث الحكيم ما يكشف عن روح فنية مرهفة ، واحساس جمالي حاد ، بحيث أن فلسفة الحكيم الجمالية لتبدو ثمرة طبيعية لاهتمامه المبكر بالنفاذ الى جوهر الفنون جميعا . والظاهر أن أديبنا العربي الكبير قد نشأ منذ نعومة أظفاره على حب الانسجام والولع بالتناسق ، فهو يحدثنا عن اهتمامه في شبابه بالكشف عما في الأعمال الفنية من اتساق في الخطوط ، وتناسب في التكوين ، كما نراه يشير الى ما في الموسيقى الأوربية والقصة التمثيلية ، من هندسة معمارية ، وبناء فني ذهني . ولئن كان الحكيم يعلل هذا الاهتمام بما كان يتمتع به من « عقلية رياضية » ، الا أن السر في عناية أديبنا بروائع الفن انما هو تفتح حواسه ، ورغبته العارمة في التهام شتى المدركات الحسية – ان صح هذا التعبير – !

ويضرب لنا الحكيم مثلا بفن التصوير فيقول : « ان الفنان المصور يجب أن تكون حواسه المادية – وعلى الأخص حاسة البصر – متيقظة الألوان الطبيعية الى حد النهم الوحشي . الفنان النابض بالحياة اما أن يكون متيقظ الحاسة الى حد الوحشية ، او متيقظ الروح الى حد الصوفية » . وهذه الحياة أن صدقت على فنان فانما تصدق على الحكيم نفسه . لأننا نرى لديه عينا نهمة ، تبصر وكأنها تغترف وتلتهم ، كما نلمح لديه في الوقت نفسه روحا متيقظة تدرك النتائج من وراء الظواهر . ولم يستطع الحكيم يوما أن يفصل حدة الحواس عن يقظة الروح ، أو رفاهة الحس عن اصالة الوجدان . ولا غرو ، فان الفنان في حاجة الى الحواس النهمة العارمة المتوحشة ، كما هو في حاجة أيضا الى الروح الصافية الواعية المتيقظة . وبهذا المعنى تكون « اليقظة الروحية والحسية » هي الشرط الضروري الأول لقيام « الروح الفنية » .

وان الحكيم ليعلق أهمية كبرى في الفن على « الأسلوب » . فان الفن عنده انما هو أولا وقبل كل شيء أسلوب يصطنعه الفنان . وما دام الفن أسلوبا ، فليس من حقنا أن نسأل عن غايته ! وهذا ما يعبر عنه الحكيم بقوله : « ليس لنا أن نسأل عن غاية الفن ، ولا عن غاية العلم . ان الغاية لا تهم . انما المعنى كله في الوسيلة . العلم هو الطريقة . الفن هو الأسلوب .. » . وواضح من هذه العبارة أن الحكيم يرفض مبدأ « الفن الموجه » أو « الفن الهادف » ، ولكنه لا يرفض هذا المبدأ ، لأنه يريد أن يعزل الفن عن الحياة ، بل لأنه يريد أن يجعل من الفن صورة من صور الحياة . والفن شيء كائن دائما لا علاقة له بالزمن ، ومن ثم فانه لا يعرف غاية ، ولا ينحصر في نطاق بعض الحدود ... » لقد انقضت الغاية من تشييد الأهرام ، وفنيت الغاية

من بناء البارثينون . وفن دفن الموتى أو عبادة الآلهة الغابرين غاية قد ماتت ، وبقي أسلوب الفن وحده خالدا في الأهرام والبارثينون .

ولكن توفيق الحكيم – الفيلسوف المؤمن – لا ينسى أن الأسلوب عند الفنان انما هو انعكاس لأسلوب آخر أجل وأعظم . وآية ذلك أن كل ما رآه الانسان في الطبيعة من تناسق وتناسب ، وارتباط لسبب بالنتيجة ، واتصال وثيق بين الشيء والشيء انما هو في الحقيقة مجرد ادراك لذلك الأسلوب ، وقد فتح الانسان عينيه على ظواهر الطبيعة ، فأدرك أن أسلوب المبدع في صنع الخليقة هو وحده المنبع الأزلي لكل ما شاهده في الوجود من منطق ، ولكل ما وقع عليه بصره في العالم من اتساق . ولم يلبث الانسان ان فطن الى أن هذه الصفات (التي أدركها في عمل الخالق) انما هي الأسلوب السليم لكل عمل فني عظيم . « ان رجل الفن الأول – فيما يقول توفيق الحكيم – هو أول انسان عرف « المنطق » صنعة فنية ، بعد ان كان المنطق سليقة سامية تسبح في أنحاء نفسه ، ولا يعرف ما هي . وكلمة « المنطق » عند أديبنا العربي الكبير انما تعني هنا الاحساس بالنتيجة والسبب ، والشعور بالتناسق والتناسب ، والعمل على تحقيق التماسك بين الأجزاء . وأساس التناسق في جميع الفنون بما فيها الموسيقى والمعمار – انما هو كأساس التناسق في الحياة والكون : ائتلاف بين الأجزاء لأجل الائتلاف ، واختلاف بينها لأجل الاختلاف . ومعنى هذا ان الحكيم يفسر « التناسق الفني » بارجاعه الى مبدأ الأخذ والعطاء الذي هو سر التماسك في كل بناء . ومثل هذا المبدأ يقضي بالضرورة تمايز الأجزاء ، كما تتمايز في الطبيعة سائر الأشخاص والأشياء ، والا لما نشأ بينها الأخذ والعطاء . وقصارى القول أن منبع الفن – في رأي الحكيم – انما هو في صنع الكون . فقد أوجد الخالق في الطبيعة تشابها ، ولكنه جلت حكمته ، لم يجعله تشابها كليا ، كما أوجد فيها اختلافها ، ولكنه لم يجعله اختلافا تاما ، وهكذا نشأ تناسق الكون من « تنوعه في وحدته » أو « وحدته في تنوعه » !

° ° °

ولكن هل يكون الفن اذن – عند الحكيم – مجرد « محاكاة للطبيعة » ؟ أو بعبارة أصح : هل يكون فيلسوفنا مجرد داعية من دعاة « التقليد » أو « الارتداد الى الواقع » ؟... يبدو لنا أن الحكيم نفسه قد تكفل بالرد على هذا التساؤل ، فاننا نجده يشير الى رأي للأديب الانجليزي هكسلي يقول فيه « ليس الفن هو الحقيقة ، وليس هو الواقع . بل شيء آخر : انه الحقيقة مقطرة ومصفاة كيماويا » ، ثم يعقب على هذا الرأي بقوله : « هذا صحيح . واذا كان الماء يصفى ويقطر للناس في معمل كيماوي ، فان الحقيقة أيضا تصفى وتقطر للناس في معمل المؤلف الروائي .. وهذا المعمل هو « الفن » . نعم . ان الفن ليس الطبيعة ولا الحقيقة ، انما هو تقطير الطبيعة والحقيقة من خلال « أنبيق » الفنان . (زهرة العمر ، ١٩٤٣ ، ص ١٢٥) . وان الحكيم ليطبق هذه النظرية على الفن الروائي فيقول انه لا يصح للأديب أن يترك بطله يتكلم بكل ما يرد على خاطره ، ويخرج لنا كل ما يخالج نفسه ، وكأنه لا بد للروائي من أن يسجل لنا كل فكرة فاضلة أو سافلة ، خيرة أو شريرة ، تافهة أو قيمة ، ينطق بها بطله ، وانما لا بد من أن يتخير أشياء وينبذ أشياء ، مما يدور في نفوس الأشخاص . وهذا الرأي ان دل على شيء فانما يدل على ميل الحكيم – بطبعه – الى البناء السليم في كل خلق ، وحرصه على توفير الصحة لهيكل عمله الفني . ولهذا فاننا نراه يرفض الرواية الحديثة التي تميل الى ايراد الحقيقة بواسطة سجل يرصد فيه ما حدث في الدقيقة والثانية داخل نفس فلان ، كما تسجل الأرصاد الجوية سواء بسواء ! والحكيم يعلل هذا الرفض في احدى رسائله فيقول : « نعم ان الفن عندي بنيان جميل . لذلك لا تنتظر مني ان أحب هذه الطريقة الحديثة في « المنولوج الداخلي » . قد أحبها على شريطة أن نخرج قصة كهذه من دائرة الفن . لندخلها في دائرة العلم ، وان نطلق على مثل هذه القصة اسم « سجل أو ملف نفسية فلان » ١ (« زهرة العمر » ، ١٩٤٣ ، ص ١٢٤ – ١٢٥) .

حقا لقد نشأ مبدأ « محاكاة الطبيعة » – أول ما نشأ – عند اليونان ، ولكننا لو عدنا الى فنون اليونان ، لأمكننا أن ندرك بسهولة أن العقلية الفنية عند الاغريق لم تقتصر يوما على التقليد أو المحاكاة . وحينما ينتقل المرء في قاعة « الفن الاغريقي » (بمتحف اللوفر) بين تماثيل « أبولون » و « فينوس » في أوضاعها المختلفة ، فانه لن يتردد في القول مع توفيق الحكيم بأن « فن الاغريق هو تجميل الطبيعة الى حد اشعارها بنقصها .. » فلم يكن الفن اليوناني مجرد نقل عن الطبيعة ، أو مجرد محاكاة للواقع ، وانما كان تعبيرا عن قدرة الفنان اليوناني على البناء ، وتأكيدا لرغبة الرجل الأغريقي في فرض نفسه على الطبيعة ! ولا غرو فان الفن هو « الانسان مضافا الى الطبيعة » أو هو « الواقع مُحوّرا على يد الانسان » .

ويضرب لنا الحكيم مثلا بفن النحت المصري فيقول «ان المثال المصري لم يكن يهتم بالطبيعة من حيث هي شكل ظاهر ، وانما كان ينشد الفكرة من وراء المادة . فلم يكن فن النحت المصري القديم محاكاة للواقع أو تقليدا للطبيعة ، وانما كان بمثابة بحث عن « التناسق الداخلي » فيما وراء الظاهرة ، وحرص على الكشف عن القوانين المستترة التي تسيطر على شتى الوقائع . ومن هنا فقد كان المثال المصري يشعر بالهندسة غير المنظورة التي تربط كل شيء بكل شيء ، حتى لكأنه كان يشعر بوجود « الكل في الجزء » ووجود « الجزء في الكل » ، وتلك – فيما يقول الحكيم – أولى علامات الوعي في الخلق والبناء . « تحت شمس الفكر » ، (١٩٤١ ، ص ٦٨) . والحق أن الفنان المصري القديم فنان عجيب لم يكن يصرفه الجمال الظاهر للأشياء عن الجمال الباطن ، وانما كان يريد دائما أن يصور روح الأشكال لا أجسامها .

وأما الفن العربي فانه ليس من المحاكاة في شيء ، لأنه « فن زخرفي » يقوم على التقطيع الهندسي البديع ، ويعتمد على التزيين الباهر الخلاب . وفن الزخرف العربي هو في الحقيقة أجمل وأعجب فن للزخرف خلده التاريخ . حقا ان هذا الزخرف « وشي مرصع جميل يلذ الحس » ، ولكنه لا يخلو من قدرة ابداعية تكشف عن رغبة الانسان في تجميل الواقع وتزيين الطبيعة . وان الحكيم ليعترف بأن العرب قد قصروا « وظيفة الفن » على الترف الدنيوي ، واشباع لذات الحس ، ولكنه يقرر في الوقت نفسه أن طابع الفن العربي هو المادة والسرعة والزخرف ، وهذه كلها خصائص الروح العربية . فلم يكن الفن العربي مجرد محاكاة للواقع أو نقل عن الطبيعة ، وانما كان تأكيدا لطابع الروح العربية ، وتعبيرا عن أخص خصائص الانسان العربي . (ص٧٤ – ٨٠) .

وللأستاذ توفيق الحكيم مقارنة طريفة للفن المصري القديم بالفن العربي القديم فهو يقول ان الفن المصري القديم فن ديني ، في حين أن الفن العربي القديم فن انساني دنيوي . وعلى حين أن المهم في الفن المصري القديم انما هو المنطق الداخلي للأشياء ، أو التناسق الباطن الذي يربط الشيء بالشيء ، نجد أن المهم في الفن العربي القديم انما هو النقد الذي قوامه ذوق الحس ، أي سليقة المنطق الظاهر والتناسق الخارجي . فالجمال عند المصريين القدماء جمال عقلي داخلي ، في حين أن الجمال عند العرب هو الجمال الظاهر الذي يسر العين ويلذ الأذن . والفنان المصري القديم يرى في المنطق الداخلي للأشياء كل جمالها ، بينما يبدو الجمال عند الفنان العربي القديم جمالا انسانيا صرفا ، لأنه جمال ظاهري نسبي لا يقدره غير الانسان . وفي هذا يقول أديبنا الكبير :

« .. ان التيار المصري القديم انما هو النقد المعتمد على الذوق ، أي سليقة المنطق والتناسق . وهو عند المصريين القدماء سليقة المنطق الداخلي للأشياء ، والتناسق الباطن ، أي القانون الذي يربط الشيء بالشيء . أي جمال للأهرام غير ذلك التناسق الهندسي الخفي أو تلك القوانين المستترة التي قامت عليها تلك الكتلة من الأحجار ؟

ولكاتب هذه السطور يعترف بأنه لا يرتاح كثيرا الى أمثال هذه المقارنات الواسعة التي لا تخلو من تعميم ، ولكنه يسجل لتوفيق الحكيم اهتمامه الفلسفي العميق بالتعرف على طبيعة الفن من خلال اختلاف مقاييس الجمال في الفنين : المصري ، والعربي . وقد يكون الحكيم على حق حين يقرر أن الفن العربي القديم فن انساني دنيوي ، في حين أن الفن المصري القديم فن ديني ، ولكن من المؤكد أن كلا من الفنان المصري والفنان العربي قد حاول — عن طريق فنه أن ينافس الطبيعة وان يسم بطابعه الانساني الخاص كل مبدعاته الفنية . وليس هناك في رأينا موضع للحديث عن « جمال عقلي داخلي » ، و « جمال حسّي خارجي » ، فان الجمال الحقيقي انما هو تلك الحقيقة العميقة الخصبة التي لا يفصح ظاهرها عن باطنها ، بل تبدو لنا دائما بصورة عالم هائل من العلاقات والروابط .

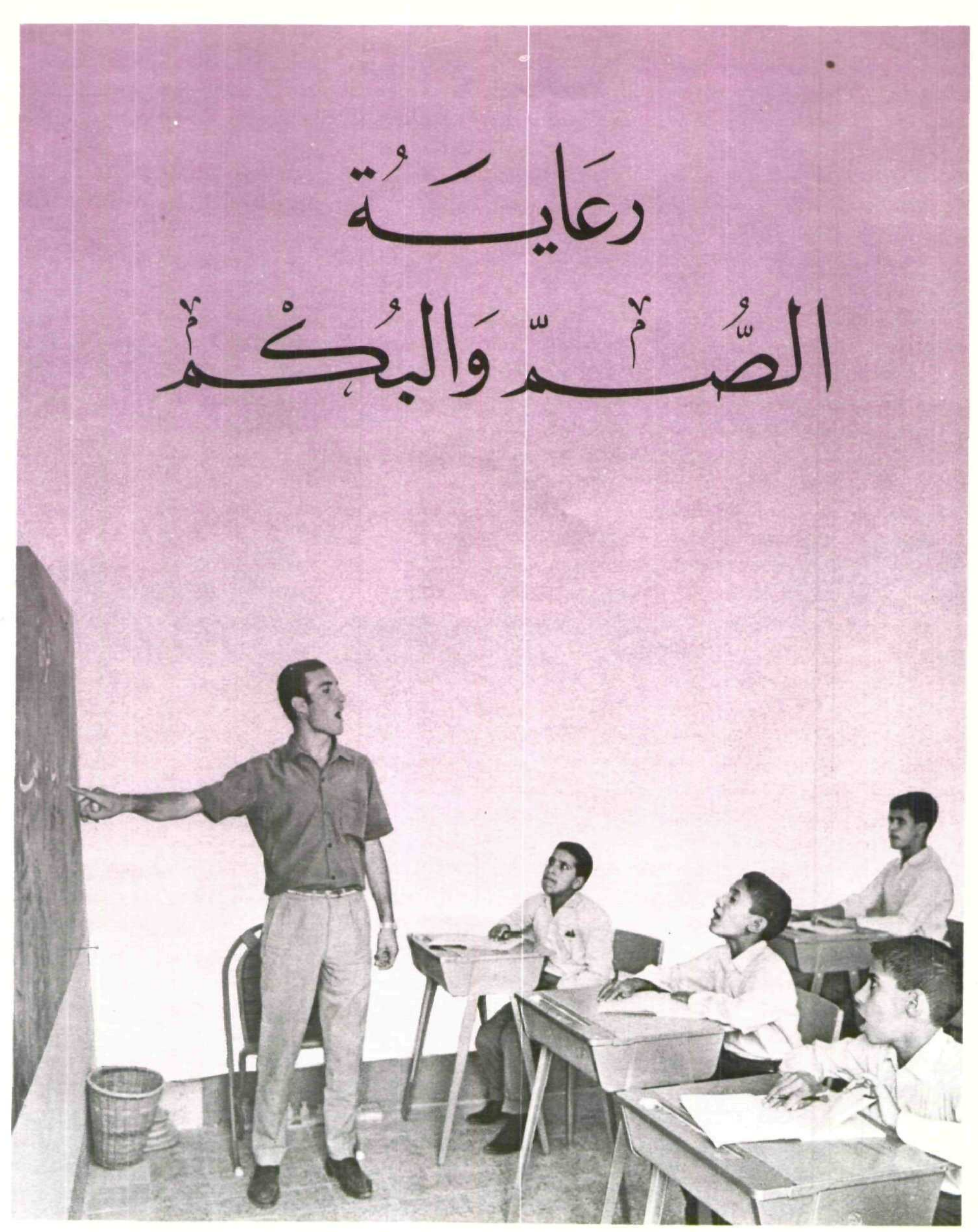
وليس أيسر على الباحث — بطبيعة الحال — من أن يضع للجمال قوانين يحكم بمقتضاها على أعمال هذا الفن أو ذاك ، لكي يتحمس لفن بعينه ، مستبعدا من دائرة الفن كل ما لا تصدق عليه معاييره الفنية الخاصة ، ولكنه عندئذ انما ينسى أو يتناسى انه ربما كان القانون الوحيد للجمال هو أنه ليس للجمال قانون .

والظاهر أن أديبنا العربي الكبير قد فطن الى هذه الحقيقة ، فاننا نجده يقرر في موضع آخر أن الأسلوب الحقيقي الاصيل انما هو ذلك الذي يهزأ بكل قاعدة من قواعد الأسلوب ، وان الفن الصادق الجدير بهذا الاسم انما هو ذلك الذي يبدو لنا بمثابة طريقة جديدة في النظر الى الأشياء . ويضرب لنا توفيق الحكيم مثلا لذلك بفن الشعر فيقول أن مأرب الشاعر « هو الارتفاع بالناس الى سحب لا تبلغ ، والوصول بهم الى عوالم لا تنظر . هو أن يريهم من خلال كلماته البسيطة ووسائله البادية أشياء لم تكن بادية ولا طافية في محيط ضمائرهم الواعية . هو بالاختصار ذلك السحر الذي يوسع ذاتية الناس فيرون أبعد مما ترى عيونهم ويسمعون أكثر مما تسمع آذانهم ، ويعون أعمق مما تعي عقولهم ... ما من فن عظيم بغير شعر ، أي بغير تلك المادة السحرية التي تجعل الناس يدركون بالأثر الفني ما لا يدركون بحواسهم وملكاتهم . » « زهرة العمر » (ص ٢٢١ — ٢٢٢) . فالفن — بهذا المعنى — أسلوب جديد في النظر الى الأشياء ، والخبرة الجمالية التي يعانيها المتذوق حين يشهد أثرا فنيا حقا انما هي بمثابة خبرة كشفية تجدد وجودنا تجديدا جذريا .

ان توفيق الحكيم الفنان هو الذي يأخذ بيد توفيق الحكيم الفيلسوف حين يحاول أن يصف لنا ماهية الفن . ومن هنا فان حديث فيلسوفنا عن « الخبرة الفنية » ليس حديث الناقد الذي يحكم على الأعمال الفنية « من الخارج » ، بل هو حديث الفنان الذي يعاني تلك التجارب الفنية « من الداخل » . وقد فطن توفيق الحكيم الى أن الفن كما قال الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون (Bergson) انما هو الدليل القاطع على امكان توسيع ملكات الادراك الحسي عندنا ، بحيث ترى ما هي في العادة عاجزة عن رؤيته .

وليس اعجاب الحكيم بالنشاط الفني سوى مجرد مظهر من مظاهر حبه للحياة ، ورغبته في الكشف عن المزيد من أسرارها . وان الفنان ليأخذ بيدنا ، لكي يرينا من الوجود ما لم يكن لنا به عهد ! انه يفتح أعيننا على الكثير من الحقائق التي نحن في العادة منصرفون عنها لانشغالنا بترهات الحياة ! ونحن نتأمل الأعمال الفنية فنحسبها مجرد « مبدعات بشرية » تقوم على حسن الصياغة ، أو روعة الأسلوب . ولكن ، لا ! « لقد تبين لي ، بعد طول الجري والجهد أن الأسلوب أحيانا حجة الكاتب الذي لا يجد ما يقول . ان الذي عنده ما يقول للناس ، يخرج بكل بساطة ما لديه من كنوز ... لا يحفل بأسلوب التقديم ويتكلف الوضع المسرحي في الاعطاء الا ذلك الذي يعطي شيئا تافها ... ما الاسلوب الا تلك الآلة الصناعية التي نتوصل بها للوصول الى الحقيقة . ولكن ما أروع الحقيقة لو تفجرت وحدها من أعماق القلب الصادق في كلمات بسيطة » ! (زهرة العمر ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣) .

وفي اعتقادنا أن الاستاذ توفيق الحكيم قد أحسن صنعا — في خاتمة المطاف — حينما ربط الفن بالحقيقة ، فان العمل الفني ليس مجرد موضوع أو شيء أو واقعة بل هو ذاتية أو شخصية أو تعبير . وحين يجد الباحث نفسه بازاء آثار فنية ، فانه لا يفتح عينيه على « مدركات حسية » فحسب ، بل هو يرى الحقيقة على صورة علاقات جمالية جديدة . وليس التعبير الفني سوى هذه القدرة الخاصة التي يتمتع بها الفنان الأصيل حينما يجعلنا ندرك الحقيقة ، وكأننا نراها للمرة الأولى ! وربما كان من بعض مزايا فلسفة الفن عند توفيق الحكيم انها كشفت لنا عن جوانب جديدة من سيكولوجية « الادراك الجمالي » ، وان كانت قد صاغتها لنا ببساطة لا عهد لنا بها في مضمار علم الجمال ! ولم يفصل الحكيم — في كل حياته الفكرية فلسفته الجمالية عن شتى مظاهر نشاطه الفكري ، بل هو قد حاول دائما أن يصوغ لنا تلك الفلسفة في صميم أعماله الأدبية صياغة تطبيقية عملية . ونحن نحسب أن الحكيم قد نجح — الى حد كبير — في التعبير عن « فلسفته الجمالية » من خلال انتاجه الروائي ، ولكننا ندع للنقاد الأدبيين مهمة الحكم على مدى هذا النجاح .



أصعب مهمة يجابهها مدرس الصم البكم هي تعليمهم النطق ، وذلك بتقليد حركات فمه وشفتيه .

أخذني صديقي من يدي وقال : دعني أرك ثمـرة الصبر والجلد . سرنا قليلا الى أن وصلنا أمام باب حديدي كبير ولجناه لنرى أمامنا باقة من الأطفال الأبرياء يلهون ويلعبون بعيدين عن الضجيج والغوغاء . تلكأت قليلا عندئذ ، وقلت في نفسي ، لا بد من استئناف السير والتظاهر بالموافقة طالما اننا أوشكنا أن نصل . فهو ولا شك يريد مقابلة شخص ما ، ولا يريد السير وحده في الطريق الطويل . بيد أن نظرة واحدة مني الى اللافتة التي تحمل اسم المعهد جعلتني أقتنع بأن صديقي يقف عند قوله ، واننا أمام عمل انساني رائع يشهد بفضل القائمين عليه والساعين بجد الى النهوض به نحو الهدف المنشود .

لقد كان من قابلناه هو مدير المعهد ولكن الهدف من الزيارة لم يكن لغرض خاص في نفس صديقي بل لطلب السماح لي بزيارة فصول هذا المعهد والاطلاع على كل ما يجري داخل جدرانه . وكان لنا ما أردنا وتكرم السيد المدير بمرافقتنا في هذه الجولة . ولا شك في أن كل شخص عادي يحس بأهمية العمل وروعة النتيجة عندما يشاهد أطفالا حرموا نعمة السمع والنطق يحاولون ويجدّون في سبيل التحصيل وتعلم القراءة والكتابة .

فالمعهد هو أحد معاهد «مديرية التعليم الخاص» في الرياض وهو لتعليم الصم والبكم . دخلنا الفصل الأول فاذا بالمعلم يدرس الاملاء ، ولشد ما كانت دهشتي عندما رأيت الأطفال الذين لا يسمعون يحاولون كتابة الكلمات التي يلفظها المعلم لهم .

ولم أستطع ازاء ذلك أن أبقى صامتا مصغيا بل سألت المدرس : طالما ان الأطفال لا يسمعون فكيف يستطيعون استجلاء الكلمات التي تلفظها وكتابتها صحيحة دون أخطاء ؟ فأجاب المدرس : لكل حرف من حروف الأبجدية حركته الخاصة في الفم ، فالشخص الذي يفقد حاسة السمع ، يزداد اعتماده على حاسة البصر ، ويصبح دقيق الملاحظة بشكل يعجز عنه السليم المعافى . وهكذا مع الصبر وكثرة الترداد يصبح الطفل الأصم قادرا على تمييز الحروف من خلال حركات الفم وبالتالي ربط حركات هذه الحروف بعضها البعض وفهم الكلمات وكتابتها . والذي يصعب على الأصم فهمه بالكلام نستعين على تفهيمه إياه بالاشارة ، وفي الوقت نفسه نجعل الطالب يحاول لفظ الكلمات مع الاشارة ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ومع الوقت يمسي الطالب قادرا على النطق نوعا مـا وعلى اجـادة الكتابة والاستمرار في الدراسة .

وغادرنا الفصل ، الى فصل آخـر يدرس الحساب ، فرأينا التلاميذ يجمعون ويطرحون على السبورة بخفة ورشاقة مما يثلج الصدر ويبعث في النفس اكبار مجهود القائمين على هذا المعهد . وتنقلنا بين بقية الفصول فوجدنا الدروس في كل منها تسير بانتظام ، بفضل المدرسين الخلص الذين يتفانون في خدمة هؤلاء الأطفال واعدادهم لأن يكونوا أعضاء عاملين منتجين في المجتمع ، لا أن يكونوا عالة على أهليهم وذويهم . وبعد انتهاء الجولة التفقدية ، عدنا الى مكتب المدير الذي أخذ يجود علينا بالحديث المستفيض عن المعهد وفروعه وبرامج تعليمه ونشاطاته ومشاريعه المقبلة ، ودونك بعض ما تمكنت استخلاصه من ذلك الحديث .

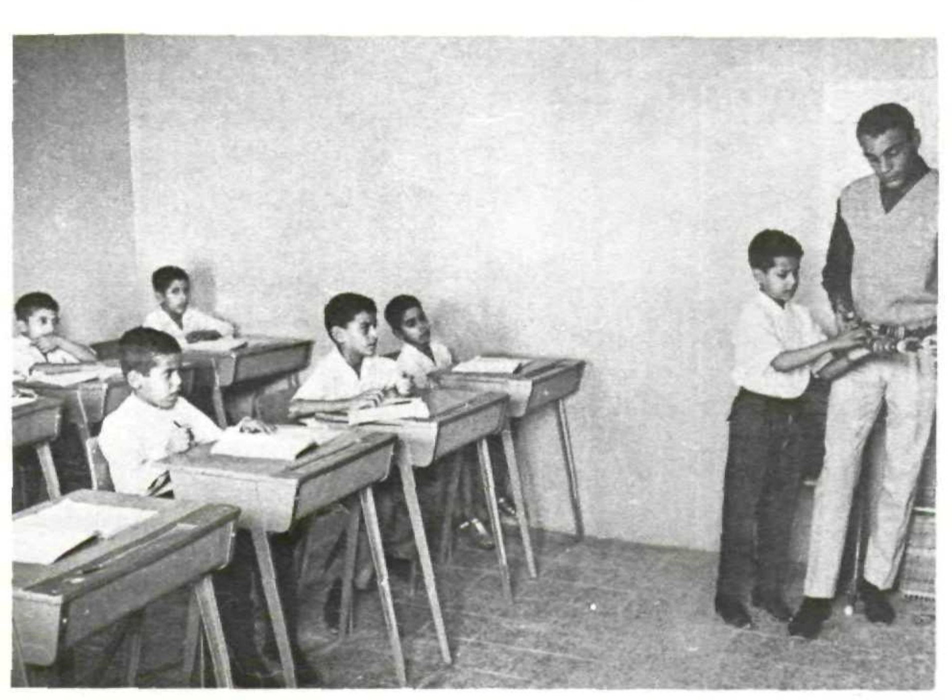
يتألف المعهد من فرعين ، أحدهما للذكور وفيه ١٧ تلميذا ، والآخر للأناث وفيه ٣٠ تلميذة . ولكل فرع من هذين الفرعين ادارته وهيئته التعليمية الخاصة ، وهو مستقل تمام الاستقلال عن الفرع الآخر . بيد أن مبنى كل من الفرعين مماثل للآخر من حيث التصميم الهندسي ، والمنهاج التعليمي . وكلا الفرعين تابع لادارة التعليم الخاص التابعة لوزارة المعارف ، والتي يديرها ويشرف عليها الأستاذ عبد الله الغانم مؤسس معهد النور .

افتتح المعهد في ٧-١٠-١٣٨٤ . ومع انه لم يمض على افتتاحه أكثر من سنة ، فان التعليم فيه قد اجتاز شوطا ملحوظا وأصبح تلاميذه يجيدون القراءة والكتابة .

يشترط فيمن يود الانتساب للمعهد من الذكور والأناث أن يكون أصما أبكما ، وألا يكون ذا عاهة أخرى عدا هاتين العاهتين مثل ضعف العقل أو العمى ، وذلك لأنه يصعب اذ ذاك تعليمه وافادته . كما يشترط به أيضا ألا يكون دون الثالثة وفوق الثانية عشرة بغض النظر عن جنسية المنتسب .

يدير فرع الذكور في المعهد الاستاذ محمد سعد مشعان مساعد مدير ادارة التعليم الخاص ، أما الهيئة التعليمية فيـه فتتألف مـن خمسة مدرسين وخمسة موجهين اجتماعيين . فمهمة المدرسين تعليم التلميذ القراءة والكتابة وتوجيهه والعناية به أثناء وجوده في الصف ، أما مهمة الموجهين الاجتماعيين فهي رعاية التلميذ منذ الساعة التي يغادر فيها الفصل حتى عودته اليه . ويعتبر المرشد الاجتماعي بمثابة أب ثان للطفل يرعاه ويرشده ، ويحل المشاكل التي تعترضه ، ويهديه طريق الخير من الشر ، ويسعى الى تعويده العادات الحسنة كالصلاة ، وآداب المائدة ، وحسن المعاملة .

ويقضي النظام بأن يكون لكل مرشد اجتماعي عائلة من التلامذة مكونة من سبعة أشخاص يعنى بأمرهم دائما ويرعاهم . أما اذا استعصى على أحد الأساتذة أو المرشدين الاجتماعيين فهم مشكلة أحد الطلاب فانه يلجأ عندئذ الى الخبير فـي شؤون الصم و البكم ، ويستعين بخبرته على حل



يعلم المدرس الطلاب الجمع والطرح بواسطة عدادات حسابية خاصة تسهل عليهم ذلك .

هذه المشكلة . والجدير بالذكر أن لدى المعهد خبيرا في شؤون الصم البكم معارا من الجمهورية العربية السورية . فهو نفسه مؤسس جمعية الصم البكم في دمشق وقد أمضى في هذا الميدان سنوات طويلة . ويقوم هذا الخبير بمساعدة هيئة التدريس في المدرسة وارشادهم الى أفضل الطرق التي يستطاع بها التفاهم مع التلامذة ، وايصال المعلومات الى أذهانهم.

أما فرع الأناث فتديره الآنسة فدوى عجمي ، وتتألف الهيئة التدريسية فيه من ست معلمات وثلاث اخصائيات اجتماعيات ، وأربع مربيات ، ومراقبتين وخياطة واحدة . وجميعهن يعملن باخلاص متفانيات في كل ما فيه مصلحة التلميذات وخيرهن . وتتوزع مهام المعهد بين عضوات الهيئة التدريسية كل حسب اختصاصها .

فالمعلمات يقمن بالتعليم ، والمربيات بالرعاية والتدريب خارج الفصل كما هو الحال في فرع الذكور . أما الاخصائيات الاجتماعيات ، وثلاثهن من حملة الليسانس في علم الاجتماع ، فيقمن بدراسة نفسية التلميذات منذ دخولهن المدرسة ، كما يقمن بدراسة البيئة التي نشأن فيها ، فيزرن الأمهات ، ويتعرفن الى الكثير من أخبار التلميذات ، ثم يسعين جادات الى التوفيق بين الجو المدرسي والجو المنزلي الذي نشأن فيه . ولكي يبقين على بينة من تقدم كل تلميذة في المدرسة ، يحتفظن باستمارة خاصة بها يسجلن عليها جميع المعلومات المتوفرة عنها ومدى التطور والتحسن الذي يطرأ عليها ، بالاضافة الى نسبة تقدمها في الدراسة . على ضوء هذه المعلومات ترفع الاخصائية الاجتماعية للمديرة تقريرا أسبوعيا عن حالة كل تلميذة . ثم تدرس هذه التقارير في اجتماع الهيئة التدريسية وتوضع الاقتراحات الايجابية بشأن الوسائل والأساليب التي يجب اتباعها مع كل تلميذة بالذات تبعا لحالتها النفسية والعقلية .

ليس للمعهد ميزانية خاصة معلومة ، لأن ميزانيته مدموجة مع ميزانية مديرية التعليم الخاص ، بيد انه يمكن القول بأنها لا تقل عن مليوني ريال سعودي . وهنا عنّ لكاتب هذه السطور سؤال مدير المعهد عن المساعدات الأهلية للمعهد . فكان الجواب بأن المعهد لا يحتاج الى مساعدات مادية من الأهلين ، فادارة التعليم الخاص هي التي تصرف عليه بسخاء ملبية جميع طلباته ومؤمنة للطلاب جميع ما يحتاجونه .

بالاضافة الى لوحات الايضاح ، لدى المعهد جهاز سينمائي لعرض الأفلام الثقافية والتربوية ، كما أن لديه أيضا أجهزة سمعية يفحص بواسطتها

الطلاب الذين لم يفقدوا السمع كليا يجري تدريبهم على النطق السليم بواسطة هذا الجهاز .

التلامذة قبيل دخولهم المدرسة لمعرفة قوة السمع عند كل منهم . وهذه الأجهزة فردية وجماعية . فاذا كان بعض الطلاب ضعيفي السمع جرى العمل على تنمية حاسة السمع عندهم قـدر المستطاع ، ثم جرى تدريسهم عن طريق السمع بواسطة هذه الأجهزة ، وفي الوقت نفسه يعطى التلميذ الذي يسمع ، جهازا صغيرا يضعه فوق أذنه فيضخم له الصوت ويجعله قادرا على سماعه وفهمه ، وهكذا الى أن يصبح مع الوقت قادرا على القراءة والنطق الصحيح .

هنالك أوجه نشاط عديدة يستطيع تلاميـذ المعهد وتلميذاته ممارستها . ففي فرع الذكور يستطيع التلميذ ممارسة احدى اللعب الرياضية المتوفرة مثل كرة القدم ، وكرة السلة ، والكرة الطائرة ، وكرة المضرب ، وكذلك يستطيع ممارسة أحد الفنون الجميلة كالرسم والنحت ، بالاضافة الى الرحلات التثقيفية المفيدة التي يؤمنها المعهد له .

أما في فرع الأناث فينحصر نشاط التلميذات في الأشغال اليدوية والتدبير المنزلي والرسم والألعاب التثقيفية المسلية والرياضة السويدية الخفيفة .

ولدى سؤال مدير المعهد عن برامج المعهد للمستقبل ، أجاب بأن هنالك برنامجا كبيرا يرمي المعهد الى تحقيقه بالتعاون مع معهد النور ، وهذا البرنامج هو تحقيق العمل التكاملي . والعمـل التكاملي يعني انه عندما يتم التلميذ دراستـه الابتدائية ، يتسنى للقائمين على المعهد معرفة مقدار الذكاء والفهم والاستيعاب لديه ، فاذا كانت لديه المؤهلات أفسح أمامـه المجال للدراسة والتحصيل والا وجّه نحو الناحية الصناعية . وهنا يأتي دور العمل التكاملي نتيجة تعاون المكفوفين مع الصم البكم . ولنأخذ مثلا بسيطا يوضح معنى العمل التكاملي وهو صناعة الفرشاة . نجعل عادة عند صناعة الفرشاة تلميذا كفيفا بين تلميذين من الصم البكم ، بحيث يقوم التلميذ الأصم بتخريم الخشبة ، ثم مناولتها الى الكفيف الذي يقوم بدوره بوضع الشعر اللازم ثم تسليمها الى الأصم الآخر الذي يضفي عليها الألوان المطلوبة وهكذا يتم صنع الفرشاة بالعمل التكاملي .

ودّعنا مدير المعهد شاكرين له حسن استقباله ، ومسرورين بما زودنا به من المعلومات الوافية عن المعهد ، ولاسيما قوله : «نحن ننظر الى ذوي العاهات بعين من يسأل ماذا بقي لديهم لا ماذا فقد منهم من حواس ، ونحاول قدر المستطاع تنميتها وتطويرها . »

والله ولـي التـوفيـق .

عصام العماد



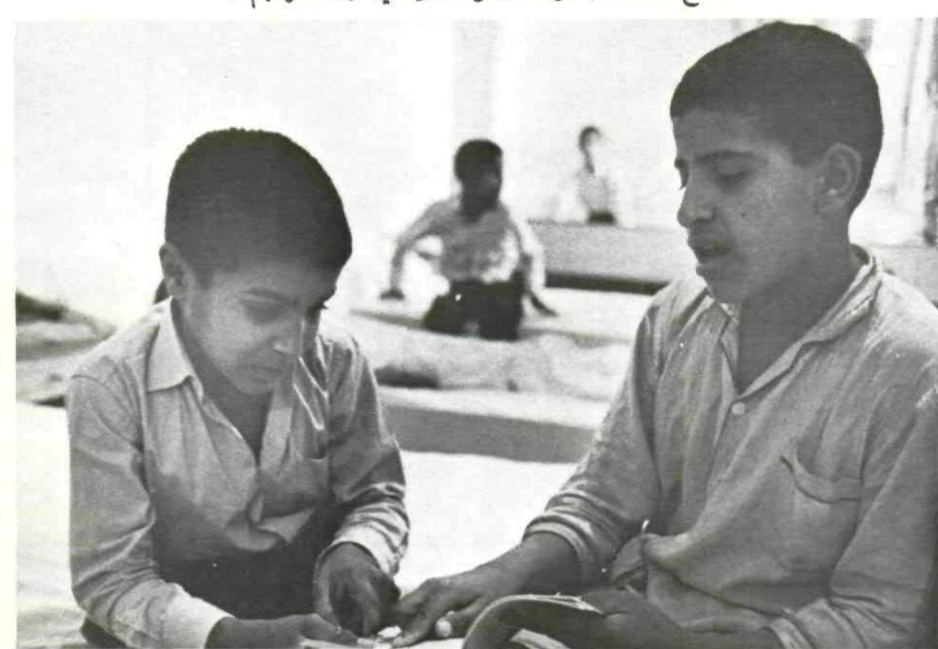
منظر عام لمبنى فرع الذكور في معهد التربية الخاص بالصم والبكم.



يقدم المعهد للطلاب وجبات غذائية كاملة .



يطالع التلامذة بعض القصص المسلية في أوقات فراغهم .



الصّاحِبُ بن عَبّاد الوزيرُ الأديبُ

بقلم : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

لم يبلغ أحد من الأدباء ، وحملة رسالة القلم ، ما بلغه الصاحب من المجد والنفوذ وذيوع الصيت . وكان – كما يقول ابن خلكان فيه : « نادرة الدهر ، وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه » . وكما يقول فيه الثعالبي : « صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان » . لقد كرم الصاحب في حياته ووفاته تكريما لم يلقه أحد من الأدباء ، وخلد على صفحات التاريخ ، مجدا سامقا ، وأدبا رفيعا ، وذكرى مرددة على الأيام .

ولد الصاحب ، اسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ، في ذي القعدة من عام ٣٢٦هـ في « طالقان » من أقاليم ايران ، ويقع بين قزوين وأبهر . ولد من أسرة فارسية رفيعة النفوذ والسلطان ، في خلافة الراضي العباسي (٣٢٢ – ٣٢٩هـ) ، فرعاه أبواه بحنانهما وعطفهما رعاية فائقة . ومضت أيام طفولته الأولى ، والخلافة العباسية تعصف بها الأحداث ، وجلس على عرشها المتقي ثم المستكفي الذي في عهده زاد خطر البويهيين في فارس ، واستولى معز الدولة البويهي على بغداد عام ٣٣٤هـ (٩٤٦م) ، وسلب الخليفة سلطانه ، وتولى حكم الخلافة بالنيابة عنه . وتولى أخواه حكم المشرق الاسلامي : عماد الدولة في فارس والأهواز ، وركن الدولة في الجبل والرّي ، وامتد نفوذه الى جرجان وطبرستان .

وفي حياة الصاحب جلس على عرش الخلافة المطيع فالطائع العباسي ، فالقادر . وكانت الأمور في بغداد في أيدي معز الدولة فابنه عز الدولة ، ثم عضد الدولة بن ركن الدولة ، فاخوته صمصام الدولة ، فشرف الدولة ، فبهاء الدولة البويهي .

وكان قيام الدولة البويهية محاولة من العناصر الفارسية لاسترداد نفوذهم في دولة الخلافة من أيدي الأتراك . وبقيامها خضعت الخلافة لهيمنتهم . وكان للصاحب بن عباد مجالس يؤيد فيها آراء المعتزلة ، ويناظر فيها خصومهم كما يقول ياقوت في « معجم الأدباء » .

وقد تنافس الملوك والأمراء والوزراء والولاة في تشجيع الآداب . ولابن العميد والصاحب والمهلبي في ذلك آثار جليلة . وكان ابن العميد يميل الى العلم ، وصاحباه يميلان الى الأدب ، وكان ابن سعدان الوزير يشجع الفلاسفة والمفكرين ، وسابور بن أردشير الوزير يحتفي أيضا بالثقافة والأدب . فكانت هذه الحياة السياسية الجديدة ، وما صحبها من تيارات مذهبية وعقلية وأدبية ، هي البيئة العامة التي عاش فيها الصاحب ، وتأثر بها ، وأثر فيها .

كان عباد والد الصاحب عالما أديبا ، تولى الكتابة والوزارة لركن الدولة البويهي . وكان هو الأستاذ الأول لابنه اسماعيل ، وقد عاش هذا الأب العظيم طويلا ، ومات في السنة التي مات فيها ابنه ، عام ٣٨٥هـ على ما يذكر ياقوت نقلا عن ابن الجوزي في « المنتظم » . ويذكر ابن خلكان وغيره أن عبادا توفي عام ٣٣٥هـ ، وربما كان ذلك تحريفا . وكذلك عمرت أم الصاحب طويلا ، وتوفيت عام ٣٨٤هـ على ما يذكره ياقوت

وهكذا نشأ الصاحب في الري ، عاصمة ملك ركن الدولة البويهي ، في بيت سيادة ، حتى قال أبو بكر الخوارزمي : « الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج من وكرها ، وورثها من أبيه » .

« تتلمذ الصاحب على يد صديق أبيه الحميم ، أبي الفضل بن العميد ، وزير ركن الدولة ، وشيخ الأدباء والكتاب في عصره ، و « عماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، وواحد العصر في الكتابة » كما يقول

الثعالبي في « اليتيمة » « وجلس الكثير من الأدباء منه مجلس الطلاب من الأستاذ ، فأعجبوا به وجاروه وقلدوه ، واتسموا بطابعه ، وجروا في نهجه ، وغرفوا من بحره » ، كما يقول الثعالبي أيضا . وطالت صحبة ابن عباد لأستاذه ، فسمي « صاحب ابن العميد » ، و « الصاحب » . وللصاحب قصائد كثيرة في مدحه ، وكان يعده والدا وأستاذا . وابن العميد ينزله من نفسه منزلة الابن والتلميذ ، وطالما رؤي في مجالس هذا الوزير العظيم ، التي كان يحضرها العلماء والأدباء والمتكلمون للمناظرة . ومن أساتذة الصاحب كذلك : ابن فارس ، وأبو سعيد السيرافي ، والقاضي أبو بكر بن كامل وهو من رواة المبرد وثعلب والبحتري . كما كان يتردد على مجالس المتكلمين والفلاسفة من مثل أبي زكريا يحيى بن عدى وغيره .

وشهر الصاحب بالعلوم ، وأخذ من كل فن منها بالنصيب الموفور ، ووهب من حسن السياسة والفصاحة والأدب ما وهب . وقرأ كتب المعتزلة ، وسار على نهجهم وطريقتهم ، وحصل على الحديث وتفوق فيه . الا أنه خاصم الفلسفة والناظرين في كتبها . وكانت ثقافته في الشعر ونقده ، وفي العروض والقوافي ، وفي التاريخ والجدل ، واسعة عميقة . وكانت لديه مكتبة ضخمة . وكان كثير المحفوظ حاضر البديهة ، فصيح اللسان ، قوي الملكات .

وقرب ابن العميد تلميذه من الأمير مؤيد الدولة بن ركن الدولة البويهي . وكان ينوب عن والده في أعمال الدولة وسياستها . ووصف له ابن العميد ذكاء الصاحب ومواهبه ، فاتخذه كاتبا له أو كما نقول اليوم : « أمين سر » . واجتهد الصاحب في الاخلاص له ، وزادت منزلته عند مؤيد الدولة ، فلقبه « بالصاحب » و « كافي الكفاة » . ولما مات والد الأمير عام ٣٦٦هـ ، وكان يلي الوزارة له أبو الفتح بن العميد ، أبقاه على ما هو عليه ، ثم اتخذ مكانه الصاحب وزيرا . ومات مؤيد الدولة عام ٣٦٧هـ ، وجلس مكانه أخوه فخر الدولة البويهي ، فأبقى الصاحب في وزارته ، واعتز به ، وقال له : « لك في هذه الدولة من ارث الوزارة ما لنا فيها من ارث الامارة » وظل وزيرا له حتى آخر حياته .

ونشر ابن عباد بنفوذه آراءه الفكرية ، وكان ينقم على معاوية والأمويين ، وعلى الجبرية وآرائهم . وأخلص الصاحب لدولة البويهيين اخلاصا شديدا . ولما حاول خصومهم من السامانيين اغراء الصاحب ليسير اليهم ، أبى وفاؤه عليه ذلك وقال : « كيف يحسن لي أن أفارق قوما ، بهم ارتفع قدري ، وشاع بين الأنام ذكري ؟ »

وكان فخر الدولة يحله محل الوالد اكراما واعظاما ، ويخاطبه بالصاحب في حديثه ورسائله ، ويثق به ويجله ويرفع من منزلته . والأوامر تصدر عن الصاحب ، والملك يدبر برأيه ، حتى كان فخر الدولة اذا رأى رأيا ورأى الصاحب غيره ، أخذ برأي وزيره وترك رأيه . وقد كان الصاحب موفقا في سياسته ، فتح خمسين حصنا وأضافها الى ملك فخر الدولة ، وكان عضد الدولة البويهي ملك بغداد في رسائله اليه يجله ويعظمه . ولما توفيت أم الصاحب عام ٣٨٤هـ بأصبهان ، وورد على ابنها الخبر ، جلس للعزاء ، وركب اليه فخر الدولة معزيا مواسيا ، وفعل ذلك جميع الأمراء والقواد .

لم ينجب الصاحب غير بنت واحدة ، زوجها لعلي بن الحسين الهمذاني الحسني ، وقد أنجبت ابنته ولدا سماه جده (عبادا) ، واحتفى بمولده ايما احتفاء ، وهنأه الشعراء به ، وقال هو فيه :

أحمد الله لبشرى … أقبلت عند العشيّ
اذ حباني الله سبطا … هو سبط للنبيّ

ولما شب هذا الغلام زوجه جده عام ٣٨٤هـ بكريمة أحد أقرباء فخر الدولة ، وكان هذا اليوم من أهم أيام الدولة ، وموسما من مواسم الأدب والشعر .

وبلغ من مجد الصاحب ان استجار به خال لفخر الدولة ليحميه من غضب الملك . وقد التزم رجال الدولة وقوادها مع الصاحب الأدب والطاعة . وكان الصاحب يلزمهم بالعدل مع الرعية . وكانوا عندما يحضرون الى الصاحب يقفون أمام قصره مطرقين حتى يؤذن لهم . ولم يكن الصاحب يقوم لأحد ، ولا يهم بالقيام ، ولا يطمع منه أحد في ذلك .

وفي أخريات حياة الصاحب ، كانت أعباؤه السياسية قد أرهقت صحته ، وكان تدبير الملك يقتضيه السهر في حياطته ، ويذكر الصاحب ذلك في رسالته الى صديقه أبي العلاء الأسدي مرددا فيها قوله :

وقائلة لمَ عرتك الهموم … وأمرك ممتثل في الأمم
فقلت دعيني وما قد عرا … فان الهموم بقدر الهمم

وقد صرح بأنه كتب هذه الرسالة وسنه تزيد على الخمسين .

رعى الصاحب النهضة العلمية والأدبية في بلاده ، وأغدق على العلماء والأدباء والشعراء . ويقول الثعالبي فيه : « ان أمواله كانت مصروفة اليهم ، وحضرته كانت مقصد آمالهم » . ويقول أيضا « احتفّ به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وفرسان الشعر ، من يربو عددهم على شعراء الرشيد . ولم يجتمع بباب أحد من الخلفاء ، والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد ، والصاحب . كالخوارزمي ، والبديع ، والجرجاني ، والسلامي ، والمأموني ، والرستمي ، والزعفراني ، والضبي والجوهري ، والشاشي ، والقاشاني ، والخزرجي ، والاسماعيلي ، والطبري ، والأسدي وسواهم . واتصل به شعراء العراق كالشريف الرضي ، وابن حجاج ، وابن سكرة ، وكتابه كالصابي وغيره » .

مدح الصاحب خمسمائة شاعر ، ويقول هو انه مدح بمائة ألف قصيدة عربية وفارسية ، وانه انفق أمواله على الشعراء والأدباء والزوار . كما يروي ياقوت في معجم الادباء . ولا شك أن الصاحب قد أثر بذلك في النهضة الأدبية في بلاده تأثيرا كبيرا وخطيرا .

أما شخصية الصاحب فكانت مزاجا من الثقة بالنفس والاعتداد بها ، ومن فضائل الرجل الخلقية والانسانية من حلم وكرم ووقار ، ومن حنكته السياسية وتجاربه الاجتماعية الواسعة ، ومن ملكاته العقلية والأدبية العالية . وقد مني الصاحب بعداوة أبي حيان التوحيدي له فألف فيه وفي ابن العميد كتابه المشهور « مثالب الوزيرين » الذي أحال ثقة الصاحب بنفسه الى غرور شديد ، وأحال عقله وحنكته الى سفه وطيش ، وأحال سياسته الى فساد وحمق ، وأدبه الى سجع مبتذل . ولكن التوحيدي يقر لهذين الوزيرين العظيمين بأنهما « كانا كبيري زمانهما وبهما ازدانت الدنيا » .

وترك الصاحب مؤلفات كثيرة منها : المحيط في اللغة ، ومنه نسخة خطية في المتحف البريطاني وأخرى في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد . وديوان رسائله وقد طبع بعضها ، وديوان شعره وقد نشرته مكتبة النهضة ببغداد بتحقيق محمد حسن آل ياسين ، وكتاب جوهرة الجمهرة ، والكشف عن مساوىء المتنبي في شعره وهو مطبوع ، وكان الصاحب يتحامل على المتنبي لأنه لم يمدحه . وله كتاب في العروض ، وكتاب في نقض العروض وأخبار أبي العيناء ، وكتاب تاريخ الملك واختلاف

الدول ، وعنوان المعارف في التاريخ أيضا ، وكتاب الوزراء ، والأعياد . وغـيرهـا .

ولما مات الصاحب في ٢٤ من صفر عام ٣٨٥هـ (٩٩٥م) ، وهو يخطو الى الستين ، وبعد أن تولى الوزارة لفخر الدولة ثمانية عشر عاما . اهتزت مدينة الري وهي تشيع جثمانه الى مقره الأخير وفخر الدولة والأمراء والقواد يحيطون بنعشه والشعراء يرثونه بالدموع وجياد القصائد . ومما قاله الشريف الرضي فيه :

هـلا أقالتك الليـالي عـثرة يـا من اذا عثر الزمان أقالا

كانت كل الأسباب تدفع بالصاحب الى النبوغ في الأدب : عصره ، نشأته ، أساتذته ، بيئته ومناصبه ، مواهبه وملكاته ، الكتب التي قرأها وحلقات الثقافة والأدب التي شهدها ، نهضة الأدب في عصره وازدهار فن الكتابة والرسائل الفنية . كلها مجتمعة فجرت مواهبه ، فانطلقت ملكته الأدبية وانبثقت ينابيع شاعريته . فشارك في النثر الفني أعلام عصره من أمثال : ابن العميد ، والصابي والخوارزمي ، والبديع والمهلبي والضبي ، والجرجاني . والعسكري . وكان الصاحب يقول : «كتاب الدنيا أربعة ابن العميد . والصابي ، وأبو القاسم عبد العزيز ابن يوسف ، ولو شئت لذكرت الرابع» . يعني نفسه . وكان يسير على طريقة ابن العميد في الكتابة ، مع حرص شديد على السجع ، واعتماد على قوة المنطق والحجة . وأسلوبه عذب سهل قصير الفقرات ، يعنى بشدة التوقيع الموسيقي بين فقراته . ومن أمثلته قوله في القرآن الكريم : «كتاب الله وبيانه . وكلامه وفرقانه . ووحيه وتنزيله ، وهداه وسبيله» .

وفي ميلاد بنته : «أهلا وسهلا بعقيلة النساء . وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار» .

وكان الشعر في عصر الصاحب في قمة نهضته وازدهاره . فكان المتنبي والشريف ومهيار ثم المعري يشغلون الزمان وأهله . وشارك الصاحب في نهضة الشعر . وكما شجع الشعراء . كان ينظم الشعر في كل غرض وفن : في المدح ، والغزل والاخوانيات والاوصاف والتشبيهات والهجاء والرثاء وغيرها . ومدائحه لابن العميد وفخر الدولة كثيرة . ويمتاز شعره بالعذوبة والرقة .

ومن أمثلته ما كتبه الى صديق له يدعوه لزيارته :

يا (أبا الفضل) لـمَ تأخرت عنا فأسأنا بحسن عهدك ظنـا
كم تمنت نفسي صديقـا وفيا فاذا أنت ذلك المتـمنـى
فبغصن الشبـاب لمـا تثـنى وبعهد الصبا وان فات منا
كن جوابي اذا قرأت كتـابي لا تقل للرسول كان وكنـا

وهو شعر يدل على ذوق مترف . وشاعرية خصبة غنية بالألوان والصور والأخيلة .

وكتب عن الصاحب بعد وفاته المؤرخون والأدباء والنقاد منهم الثعالبي ، وياقوت وابن خلكان وابن الجوزي في المنتظم . وجميع مؤرخي الأدب . ولا تزال حلقات الأدب والثقافة تشيد بذكره وتعلي من منزلته وقدره .

وعلى الجملة فقد كان الصاحب في الصف الأول من أدباء عصره ، وقد احيت ذكراه روائع شعره ونثره على مر الأيام . وطويت بموته صفحات حافلة بالمجد والعبقرية . رحمه الله .

حاول ان تجيب

— ١ —

أ — من هو أول من دوّن في علم البيان ؟
ب — من هو أول من دوّن في علم البديع ؟
جـ — من هو أوّل من وضع أصول النحو في اللغة العربية ؟

— ٢ —

كم كيلومترا على وجه التقريب يبلغ طول كل من حقول الزيت المغمورة بالمياه في المملكة العربية السعودية ؟
أ — السفانيـة
ب — منيـفـة
جـ — أبـو سعفة

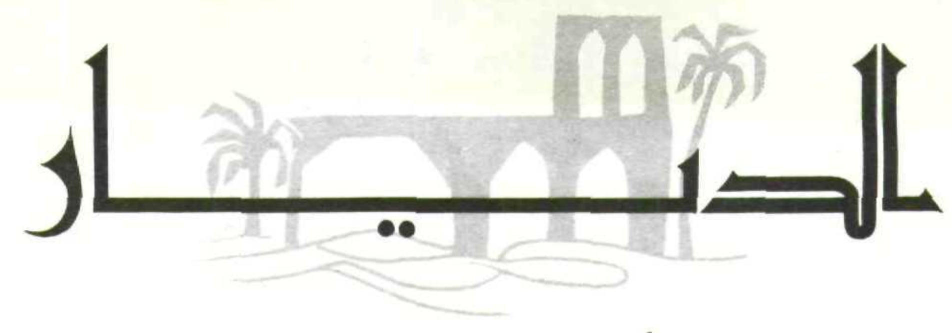
— ٣ —

أ — من هـو العالم الفرنسي الـذي اخترع «الدينامو» لتوليـد النور الكهربائي ؟
ب — من هو أول مهندس فرنسي أقام قواعد البناء بالاسمنت المسلح ؟
جـ — من هـو الفيزيـائي الألماني الذي اكتشف الموجات الكهربائية المعروفة بـ «الهرتزية» ؟

— ٤ —

أ — في أي عام بنى خوفو الهرم الأكبر في الجيزة ؟
ب — في أي عام أطلق أول بالون مزود بالايدروجين ، ومن أطلقه ؟
جـ — في أي عام ظهرت الطباعة بالألوان ، وأين ؟

(الأجوبة على الصفحة ٤٤)



بقلم : الاستاذ عبد المجيد الشاوي

ان شيئا لم يستأثر بمطالع القصيدة الغزلية القديمة كما استأثرت الديار . فكان الشاعر حينئذ يستهل قصيدته بذكر الدار وسكّانها والاشارة اليها ، يكلّمها ويسائلها ويبثّها شوقه وحنينه . ولقد ظل الحنين الى المنزل ركنا من أكبر أركان القصيدة القديمة في شكلها المحافظ . والدار تكون في الشعر منزلا وتكون ربعا . ولست تجد الديار عند المتقدمين غير أطلال طال صمتها . ولست ترى الشاعر غير رجل يسائل من لا يحير جوابا ولا يعي نداء :

فوقفت أسألها ، وكيف سؤالنا
صمّا خوالد ما يبين كلامها ؟

ولقد يخاطب النابغة الذبياني دار ميّة ما شاء له أن يخاطب . فان دار مية تلك الدار التي صمتت صمتا طويلا متصلا :

يا دار ميّة بالعلياء فالسّند
أقوت وطال عليها سالف الأبد
وقفت فيها أصيلا كي أسائلها
عيّت جوابا وما بالربع من أحد

وأنت ترى أن النابغة يسميها دارا ويسميها ربعا . وانما الربع هو المنزل في الربيع . ولكنهم لما كثر استعمالهم للربع صاروا يقولون لكل منزل ربعا على سبيل الدعاء . والشاعر الجاهلي حين يقف على الأطلال يندبها يقف مستعبرا باكيا فيطيل الاستعبار . وليس امرؤ القيس أول من ذرف الدمع وافرا لدى الأطلال . بيد أنه كان من أبرز الباكين وأصدق الذارفين رغم ما فيه من تهتّك . لقد كان امرؤ القيس أحد ستة شعراء من مجموع أصحاب المعلقات استهلّوا مطوّلاتهم بذكر المنزل والدار . ولا أراك إلا كثير الرضا حين تسمع اليه يقول :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمّل

ولعلك حين تتأمل مذاهب المتقدمين في وصف المنازل الدارسة لا تشك لحظة في أنهم بلغوا الغاية في دقة الوصف وروعة الاستقصاء والاستغراق .

ومهما كان تأثير الحضارة فيك . ومهما ابتعدت بك حياة العصر عن قديم البداوة . فلست تملك الا اهتزازا والا طربا وأنت تقرأ مطلع معلقة زهير ابن أبي سلمى في قوله :

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلّم
بحومانة الدرّاج فالمتثلّم
ديار لها بالرقمتين كأنها
مراجيع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة
واطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجّة
فلأيا عرفت الدار بعد توهّم

وأيّ شيء خفي على الشاعر ولم يدخله في هذه الصورة العريضة ؟ ها هي أمامك دار خربة كأنها في مجموعها آثار وشم باهت في معصم اليد . وها هي أمامك أطلال باردة لاذت بظلّها العين والآرام تتفيّأ وتتبرد . ولم تزل مطمئنة حتى يفاجئها الشاعر . فاذا هي مذعورة خائفة . فقسم يذهب بهذا الاتجاه وقسم يخالفه . بينما الاطلاء الصغار تنهض عن مجاثمها بين ذلك .

وانظر الى عنترة بن شداد كيف يحيي دار عبلة ابنة عمه . وكانت عبلة يومئذ يساوم فيها أبوها ويساوف :

هل غادر الشعراء من متردّم
أم هل عرفت الدار بعد توهّم
يا دار عبلة بالجواء تكلّمي
وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
حيّيت من طلل تقادم عهده
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

ولست أعرف من أغراض الشعراء ما اتّسع لذكر الأماكن في شعر المتقدمين كالغزل . وأحسب أن ديوان العرب يمكن أن يكون أكبر عون للجغرافيين في التثبّت من المواقع والآثار على خارطة بلاد العرب .

واذا فارقنا العصر الجاهلي الى القرن الأول والثاني والثالث والرابع ، وجدنا كبار الشعراء لا يزالون يستفتحون قصائدهم الغزلية بذكر المنازل والوقوف عليها في كثير من ذلك . فهذا جرير يقول :

حيّ الغداة برامة الأطلالا
رسما تقادم عهده فأحالا

وهذا بشار . زعيم المحدثين يقول :

أبى طلل بالجزع أن يتكلّما
وماذا عليه لو أجاب متيّما
وبالفرع آثار بقين وفي اللوى
ملاعب لا يعرفن الا توهّما

ويستمر الشعراء في ذلك ، بما فيهم أبو نواس وأبو تمام . حتى يأتي المتنبي فيقول على نهجهم :

فديتك من ربع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا

ولا ريب ان ترسّم الشعراء المتأخرين طريقة المتقدمين في استهلال قصائد الغزل بذكر الديار ، يعني انهم كانوا الى ذلك الوقت مفتونين بالقصيدة القديمة كل الفتون . وانهم كانوا الى ذلك الوقت أيضا لا يزالون على استعداد للمحافظة على الشكل القديم للقصيدة الغزلية ولو خرج بهم الأمر الى التكلّف والغرابة .

على أن الديار عند الشعراء المتأخرين لم تعد أطلالا كلها . والاشارة اليها لم تعد ضرورة تقليدية بحتة . وصار يقع في الشعر ذكر المنازل ومخاطبة أهلها على سبيل الحقيقة وهي عامرة بالسكان . ويبدو أن ذلك كان داعيا لزحزحة الدور والمنازل من صدور القصائد الى ثناياها ! يقول الأحوص من اللاّمية :

يا دار عاتكة التي أتعزّل
حذر العدا وبك الفؤاد موكّل
اني لأمنحك الصدود وانني
قسما اليك مع الصدود لأميل

ولم يزل كثيرا من الشعوب يحفظون للدور في معتقداتهم وتقاليدهم كثيرا من المآثر . ولم تزل الدار حرمة في الشرائع والقوانين . وللعرب صيت كان وما زال في اجارة الخائف واللائذ لا يدانيه صيت . ومن طريف ما يؤثر عن الاجارة ان رجلا من العرب أعطى الامان حمامة اتخذت لها في داره عشا وأنشد يقول :

تغنّي أنت في ذممي وعهدي
وذمة والدي ان لن تطاري
فانك كلما غنيت لحنا
ذكرت أحبتي وذكرت داري
وأمّا يقتلوك طلبت ثارا
له نبأ لأنك في دياري !

تطور بناء السفن

لقد خطا الانسان في عصرنا الحاضر خطوات واسعة في شتى المجالات الصناعية راميا الى استحداث طرق وأساليب جديدة ، وتطوير القديم منها سعيا وراء كسب الوقت وتوفير الجهد وتحسين النوع من أجل سعادته ورفاهيته . وتطوير صناعة السفن من الأمثلة الدالة على مدى هذا الاتجاه والتقدم الملموس . فقد استنبط أحد مهندسي أحواض السفن - وهو سويدي الجنسية - طريقة فريدة في نوعها لبناء سفن ذات أحجام مختلفة ، في وقت أقل وأسرع من ذي قبل ، وذلك بتطبيق نظام خاص يتلخص في تركيب أجزاء السفينة كل على حدة ، قبل تجميعها معا وذلك ضمن مبنى ضخم مزود بأحدث الآلات الميكانيكية ، بغية تسهيل مهمة العامل وحمايته من تقلبات الطقس العاتية التي كانت وما زالت العائق الوحيد الذي يقف حجر عثرة في سبيل تنفيذ الكثير من المشاريع والأعمال الحيوية بالاضافة الى صناعة السفن .

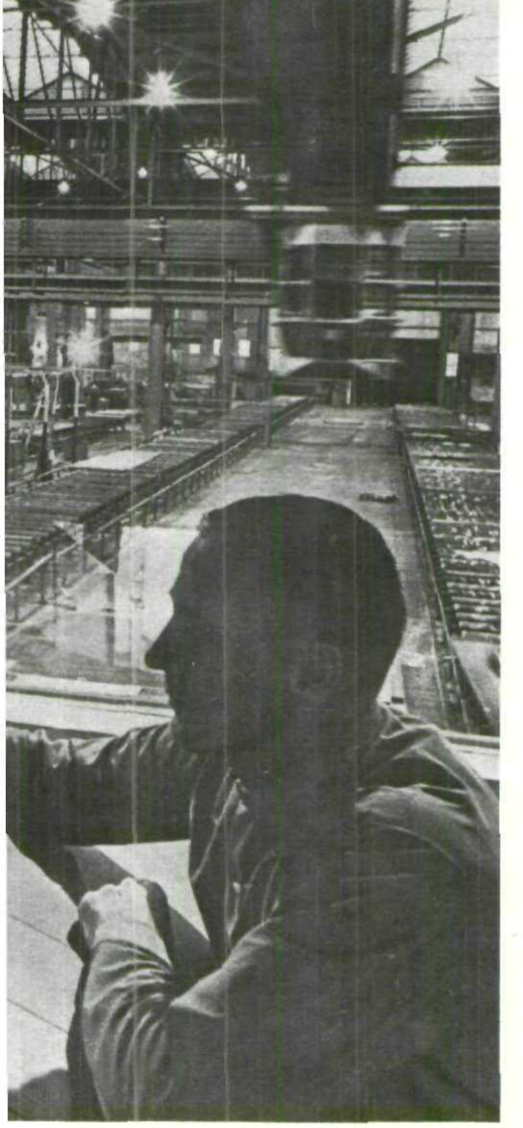
يقوم حوض بناء « جوتافيركن » للسفن في السويد ببناء مؤخرة السفينة قبل المقدمة بدلا من البدء بالقاعدة فالجزء الباقي منها ، وذلك بفضل اتباع الوسائل الفنية البارعة التي تعتمد على خط التجميع . ففي هذا الحوض الفريد الكائن في « أريندال » بالسويد يجري بناء السفن الضخمة جزءا فجزءا فوق خط للتجميع ، الى أن تأخذ طريقها الى الخارج وتفسح مجالا لبناء غيرها . والمرافق الصناعية في « أريندال » مصممة بحيث تستوعب سفنا تبلغ حمولة الواحدة منها (١٥٠) ألف طن .

ويرجع الفضل في هذا التحول الجوهري الضروري عن طريقة بناء السفن التقليدية الى المهندس المعماري البحري « نلز سفنسون » الذي يشغل منصب المدير الاداري لشركة جوتافيركن (Gotaverken) الخاصة ببناء السفن ، والتي يبلغ عمرها قرنا من الزمن .

لقد جد « سفنسون » في البحث عن طريقة لبناء سفن أكبر في وقت أقصر ، مع التأكد من استمرار سير العمل حتى خلال أردأ حالات الطقس وتحت أسوأ الظروف ، ولذا فقد عمد الى تصميم نموذج مصغر لمصنع يمكن بواسطته الاستفادة من طرق التصنيع العديدة المتبعة في الصناعات الأخرى التي من شأنها أن توفر الوقت ، والتي لم يسبق لها ان طبقت في بناء السفن .

وللتأكد من فعالية نظرية خط التجميع الجديدة ، أجرى مهندسو شركة « جوتافيركن » دراسات شاملة على جميع الأمور المتعلقة بانتاج حوض بناء السفن . فلجأوا الى التحليل والتدقيق في كل خطوة من خطوات بناء مائة سفينة من صنعهم . فأكدت تلك الدراسات صلاحية هذه النظرية وكفاءتها .

بلغت تكاليف انشاء حوض «أريندال» الكائن بالقرب من مدينة « جوتنبرغ » أربعين مليون دولار ، واستغرق بناؤه أربع سنوات . وهذا الحوض مصمم بحيث يستمر الانتاج في التدفق بشكل دائم ويسهل العمل ، ويمكن العمال من بناء السفينة في أقل من نصف الوقت الذي كانوا يستغرقونه باتباعهم أساليب بناء السفن التقليدية المعروفة . كانت مشكلة الوقت الضائع بسبب سوء الأحوال الجوية من أهم

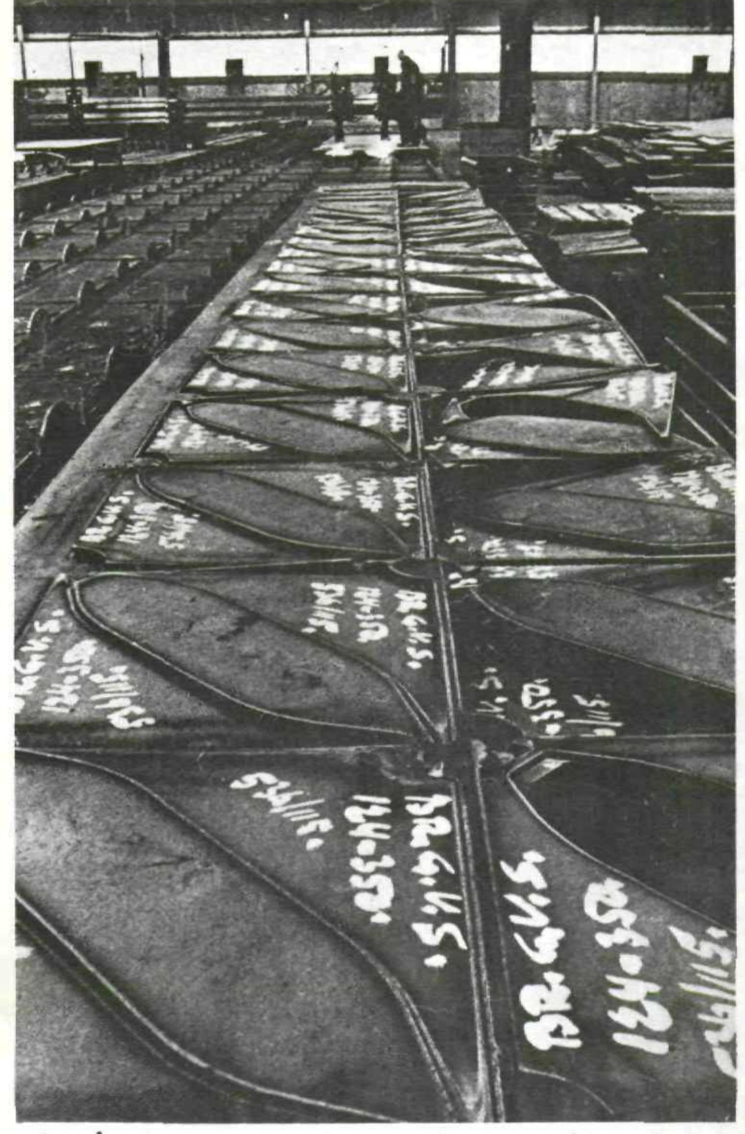


الاعتبارات التي وضعها المهندسون نصب أعينهم عند تصميم حوض « أريندال » وتخطيطه ، فقد دلت الاحصاءات التي قامت بها الشركة على أن ٢٥ في المائة من ساعات العمل كانت تضيع سدى بسبب هطول الأمطار ، والظلام ، وبرودة الطقس خلال العام الواحد . وللتغلب على هذه المعضلة ، فقد صمم حوض « أريندال » بحيث يتم معظم العمل داخل مجموعة من المباني تمتد رقعتها حوالي نصف ميل خلف مصب نهر «جوتا» .

أما بالنسبة لمراكز العمل الرئيسية الثابتة التي تعتبر على جانب عظيم من الأهمية ، فقد روعي في تصميمها ان تجلب أجزاء السفينة الى العمال في أماكنهم دون الحاجة الى تنقلهم ، كما هي العادة ، بين مراكز العمل المنتشرة على طول هيكل السفينة الثابت في حوض البناء . ففي ورشة التجميع مثلا ، تبنى أجزاء كل سفينة طبقا لجداول تتفق وأوقات عمل اللحامين وعمال الصفائح ، أما أثناء عملية نصب الأجزاء ووصلها فتعمل الفئات المختلفة من العمال دوما في المكان المخصص لها ولمعداتها .

وبالاضافة الى التصميم الهندسي الرائع الذي يمتاز به حوض « أريندال » فانه يختلف عن معظم الأحواض الأخرى في مناح عديدة . فأحواض بناء السفن يكون لها عادة دوائر رقابة منفصل بعضها عن بعض ، للاشراف على مراحل البناء الرئيسية الثلاث وهي : بناء الهيكل ، وتجهيز السفينة ، بالمعدات ، وتركيب المكائن . أما في حوض « أريندال » فقد دمجت الأقسام الثلاثة المذكورة في قسم واحد . فيتم العمل بواسطة هذا التنسيق على أكمل وجه . والغرض من وراء فكرة الدمج هذه ، ضمان التخطيط المنسق لعملية الانتاج بأكملها . وتبدأ هذه العملية من شاطيء البحر في ساحة خزن الألواح الحديدية التي تبلغ مساحتها ١٣,٥ فدان ، حيث يجري تفريغ ألواح الحديد الضخمة الواردة الى ساحة المواد بواسطة

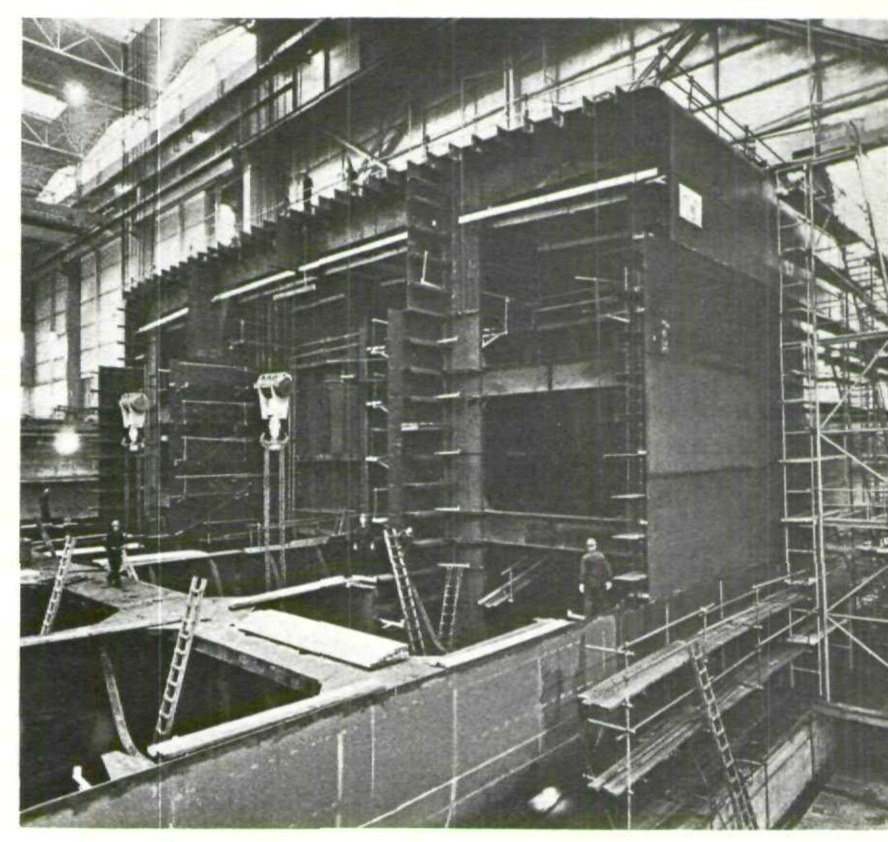

يراقب الناظر عملية تجهيز الألواح على شاشة تلفزيون داخلي .


يجري تفريز الألواح الحديدية كما يرى في الصورة بواسطة مقصات أوتوماتيكية تعمل بالغاز وتوجه بأجهزة بصرية .

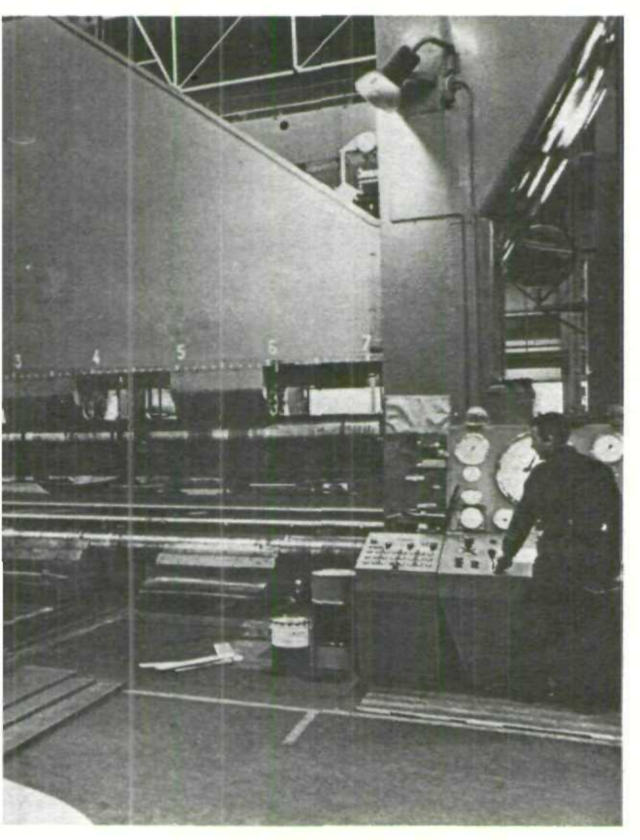
سكة الحديد . وتستعمل لتفريغ تلك الصفائح رافعة علوية مغناطيسية يبلغ مداها ١٥٧ قدما ، وطاقتها خمسة عشر طنا . وتتحرك تلك الرافعة الضخمة باتجاه الحزام الناقل (دون ثني الألواح أثناء رفعها ، لتنزلها في المكان المخصص لاستعمالها عند خط التجميع) . وعلى الرغم من اتخاذ التدابير اللازمة لوقاية تلك الألواح من الثني ، فانها زيادة في الحرص ، ترسل الى ورشة لإزالة أي اعوجاج أو نتوء فيها . ومن هنا تمضي الألواح فوق الحزام الناقل الى معمل « الصنفرة » ، حيث تندفع ذرات فولاذية تشبه الرمل الناعم مع الهواء المضغوط لتصطدم بسطحي اللوح ، فيتلاشى الصدأ على الفور كليا . ثم تقوم مجموعة الفراشي الميكانيكية والمراوح الهوائية بازالة الغبار العالق بها . وعقب انتهاء عملية الصنفرة ترسل هذه الألواح الى ورشة الدهان المزودة بأحدث الآلات الميكانيكية لطليها . أما مدير الانتاج فيظل ساهرا يراقب عملية اعداد الألواح من خلال شاشة تلفزيونية وضعت في غرفة خاصة لهذا الغرض . وبوسعه من هذا المركز الحساس ، أن يتأكد من جودة العمل وسيره خلال مراحله . كما يستخدم شبكة تلفونية أو جهاز راديو ذا موجة قصيرة يوجه بواسطته التعليمات الخاصة الى رئيس العمال ومشغلي الرافعات .

بانتهاء عمليتي التقويم والصنفرة ، تنتقل الألواح النظيفة البراقة الى ورشة الصفائح ، حيث يجري قطعها وثنيها طبقا للمواصفات الموضوعة مسبقا ، وذلك بواسطة آلة « هيدروليكية » ضخمة (تعمل بضغط الماء) . وبعد ذلك تنقل الألواح الجاهزة الى مركز تجميع أجزاء هيكل السفينة حيث يجري لحمها ووصلها . ويعادل ارتفاع هذا المبنى علو عشرة طوابق ، وهو يعتبر من أهم بل وأروع الأبنية التي يضمها ويشتمل عليها حوض « أريندال » لبناء السفن ، وهو مزود بثماني رافعات علوية بوسعها رفع أجزاء من السفينة زنتها ثلاثمائة طن . وفي هذه المرحلة أي مرحلة التجميع بالذات تبدأ السفينة باتخاذ شكلها . وبعد تجميع كل جزء من أجزائها فوق أرض المبنى ، تدفع السفينة الى الخارج بواسطة رافعات آلية لافساح المجال بغية تركيب الجزء التالي منها . فبفضل طريقة الانتاج هذه ، يتسنى لمهندسي شركة « جوتافيركن » اعداد جداول العمل ومواعيده بطريقة لا تتأثر بالأحوال الجوية السيئة .

ولدى فراغ العمال من انجاز جزء معين من هيكل السفينة ، يدفع هذا الجزء خارج قاعة التجميع ليظل في ساحة المبنى البالغ طولها ألف قدم ، والتي صممت بحيث تستوعب سفينتين حمولة الواحدة منهما ٢٥ الف طن ، أو سفينة واحدة حمولتها ١٥٠ ألف طن ، وفي ساحة المبنى هذه يتم تجهيز السفينة بالمعدات اللازمة ، كما يجري مد الأنابيب وتثبيت الآلات واللوازم الأخرى . وعند تركيب الأجزاء الخاصة بمقدمة الهيكل تصبح السفينة جاهزة لانزالها في الماء . وهنا تقفل أبواب المبنى الضخمة ليبدأ العمل في الداخل من جديد على بناء سفينة أخرى . فهذه المهارة الآلية والقدرة الانتاجية تمكنان القائمين على حوض « أريندال » من انجاز ما يقرب من اثنتي عشرة سفينة في العام الواحد ، يبلغ مستوى حمولة الواحدة منها ٢٥ ألف طن .



ما ان يتم العمل في تركيب جزء من السفينة ويصبح معدا للطلاء حتى ينزل جزء آخر .



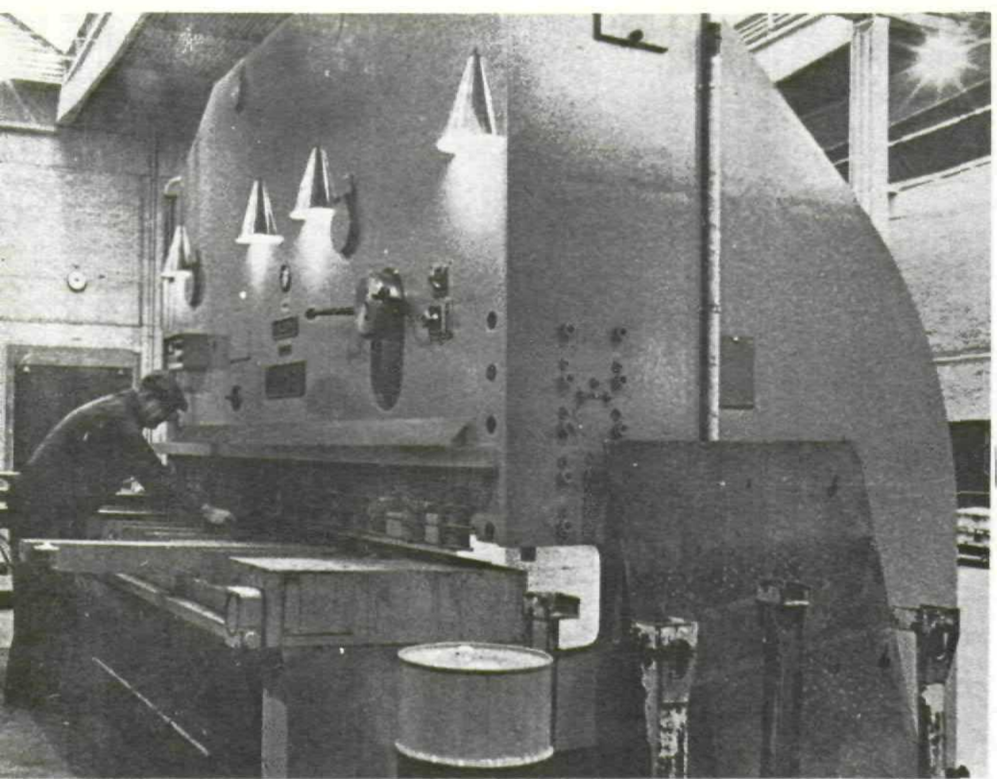
يحرك العامل الفني المقابض فيخرج اللوح الفولاذي محنيا من هذه الآ

وبالاضافة الى وضع الخطط الرامية الى زيادة الطاقة الانتاجية الى أقصى حد ممكن ، وجه المصممون ، بالتعاون مع الموظفين الآخرين، اهتماما خاصا نحو أوضاع العمـــل وظروفه . هذا ، وقد أدى استخدام المعدات الآلية الى وضع حد لكثير من الأعمال الشاقة ، التي يتطلب انجازها عادة جهودا كبيرة ، بالاضافة الى تسهيل الأعمال اليدوية وتبسيطها .

وهكذا ، فان حوض « أريندال » كغيره من الأحواض العالمية الكبيرة ، قد تمكن بالفعل من بلوغ غايته الهادفة الى بناء سفن أضخم وفي وقت أقصر . لم يفت المصممين اعتبار طلبات المستقبل المنتظرة ،فصمموا المصنع بطريقة تمكنهم من اضافة ملحقات مكملة لشبكة الانتاج القائمة حاليا وتوسيع مرافقه عند الحاجة .

(باذن خاص) عن مجلة « اويل بروجرس» التي تصدرها شركة «كالتكس » للزيت .

ترجمه بتصرف : محمد سليم البيطار


الاضاءة الحسنة من أهم ميزات الأحواض الحديثة ، وهذا العامل يؤدي عمله في جو سليم يسهل عليه مهمته



تي تعتبر أكبر آلة من نوعها في العالم .


يستمر العمل في حوض أريندال ليلا ونهارا وفيه تبنى سفن ضخمة تدفع الى الخارج بواسطة مكابس آلية .

تقوم فرقة من الفنيين بتجميع مقدمة السفينة ولحمها . أما الأنبوب الضخم الظاهر في الصورة فهو أنبوب المرساة .



منظر جوي لناقلة الزيت اليابانية « طوكيو مارو » اثناء رسوها في فرضة رأس تنورة صباح الجمعة ٦ ذو القعدة ١٣٨٥ (٢٥ فبراير ١٩٦٦) . وهي أكبر ناقلة في العالم تم صنعها حتى اليوم ، اذ يبلغ طولها نحو ٣٠٦ أمتار وعرضها ٥٠ مترا وحمولتها ١٥٠٫٠٠٠ طن .

ترانيم العودة

(١)

للشاعر : عبد السلام هاشم حافظ

وطـــني هنـــا ؟ وهنـــاك فـــي أرض الحجاز سماؤه ومطالعـــه
جسمي هنـــا .. لكنّ روحـــي بالمدينـــة داره ومضاجـعـــه
جئت الكنـــانـــــة ، والرجـــا ان أستجمّ وتستظـــل توابعـــه
متطبـــبا ومكافحا .. والعلـــم غايـــاتٌ تسود مطـــامـعـــه
عاصرت ألـــوان الفنـــون .. وهـــزّنـــي أمـــل تجـــلّ منافعـــه
أن يستطيب لـــي المقـــام هنـــا ، وتصفـــو للغريـــب منابعـــه
لكنّـــه وطـــني الحجازيّ العظيـــم تشدّ فـــيّ أصابـــعـــه
لأعـــود حيـــث توالـــد الاحساس للدنيـــا وصحصح سامعـــه
صابـــرت ، والقلب الكبير بخفقـــه أبـــدا تثـــور طبـــائعـــه
متعلقـــا فـــي موطـــن الأنـــوار حبـــا لا تَريـــم دوافـــعـــه
كلّ الديـــار حبيبـــة .. وهـــواي – طيبـــة – سرّه ومرابعـــه
عـــام وآخـــر .. بـــل ورابـــع .. والفؤاد تزيـــد فيـــه مواجعـــه
وأرابـــني .. حتى لقـــد خلت البعاد تكون فيـــه مصارعـــه
وحزمـــت أمـــري للرحيـــل ، وموطـــني نصب العيـــون ودائعـــه
كـــم هـــاج بـــي شوقـــي واحلامـــي ، ولم تُذبـــل جوايَ مدامعه



الآثار في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية

بقلم الاستاذ صلاح البكري

منذ فترة غير بعيدة نشرت الصحف المحلية أن بعثة فنية ستقوم بتصوير فيلم ثقافي اعلامي عن الآثار بالمملكة العربية السعودية ، وسيجري هذا التصوير في مدائن صالح وغيرها من المناطق الأثرية .

ليس من شك في أن هذا عمل جليل ، وأجل منه الاهتمام بجمع الآثار والاحتفاظ بها كمظهر من مظاهر حضارتنا الغابرة ومعلم من معالم تاريخنا القديم .

والمحافظة على الآثار والاهتمام بصيانتها من التلاشي والاندثار لا يخدم التاريخ فحسب بل يشجع على قدوم السياح والزوار . ويدخل المتعة الى نفوس العلماء والباحثين ويثير اهتمامهم .

تتركز المناطق الأثرية في المملكة العربية السعودية في أماكن مختلفة من الأراضي الواقعة بين الحدود الشمالية للمدينة المنورة ، والأطراف الجنوبية الشرقية لخليج العقبة ، وأيضا تحتل مساحات محدودة في نجران . غير أن معظم تلك الآثار قد عبثت بها عوامل التعرية اذ كانت عرضة للعواصف الرملية والحرارة والبرودة والأمطار . والمناطق الشمالية للحجاز كما هو معروف ، كانت موطنا للأنباط واللحيانيين وقوم شعيب أو أصحاب الأيكة وثمود . لكن معظم هذه الأقوام تركت خلفها آثارا ومعالم . وهذه الآثار ، وان كانت شيئا قليلا بالنسبة لآثار معين وسبأ حمير وقطبان في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية ، الا أنها تلقي ضوءا على تاريخ عرب الشمال الذين أثبتوا وجودهم بين الشعوب في تلك العصور الواغلة في القدم .

النبطيون

لعل النبطيين في مقدمة أولئك الذين تركوا آثارا تتحدث عنهم وتعرض لنا شيئا عن أعمالهم وتاريخ حياتهم . وهم لم يسكنوا في المقاطعة العربية التي عرفت باسم (بلاد العرب الحجرية) (Arabia Patrae) الواقعة الى الشرق والجنوب الغربي من البحر الميت حيث توجد عاصمتهم البتراء . ولكن الجزء الأكبر من اقليمهم كان يدخل ضمن بلاد العرب السعيدة (ايوديمون) (Eudaimon) ويذكر « استرابو » أن ممالك النبطيين كانت تمتد مسيرة أيام عديدة الى جنوب ليكة (Leuke) . وانها كانت تلاصق أرض الأريتاس (Aretae) الذين اعترفوا بسلطان عباده (Obada) ملك النبطيين . ووفقا لما ذكره ديودوروس (Bibl. Hist, 1198) فان كثيرا من النبطيين كانوا يشتغلون بالسلب والغارة على البلاد المجاورة لهم . وهم شديدو المراس ، ومن العسير جدا أن يقهروا في الحرب لأنهم ينقرون أحواضا في الأراضي الصخرية لحفظ المياه . وهذه الأحواض والنقر هي المعروفة الآن باسم (مقور) ، وهي تنقر الى عمق قدره أربعة أمتار . وهذا العمق يتخذ شكل كمثرى ذات عنق ضيق لمنع التبخر ، ويغطى عادة بحجر كبير فيسيل الماء الى النقرة من الأراضي المجاورة . ويذكر استرابو أيضا ، ان المقاطعة العربية السعيدة كانت أول

أمرها دارا للنبطيين والسبئيين الذين كثيرا ما أغاروا على سوريا في عصر ما قبل الرومان .

اللحيانيون

كان هؤلاء العرب يملكون جميع المناطق المجاورة لخليج العقبة الذي يسميه فريق من الكتاب القدامى ومنهم ارتميدوس ، خليج العقبة ويسميه فريق آخر ومنهم يوبا (Juba) خليج لحيان نسبة الى بني لحيان . ولقد سيطر هؤلاء على تلك المناطق منذ القرن الخامس حتى القرن الثالث قبل الميلاد . ومدينتهم الرئيسية المسماة هجرا (Hagra) هي مدينة الحجر التي كانت في منتصف القرن الأول الميلادي ملكا لملوك النبطيين . واللحيانيون هم الذين أفسحوا مكانهم للنبطيين إبان القرنين الثاني والأول قبل الميلاد . وكان نفوذهم يمتد جنوبا الى ما بعد واحة ديدان (العلا) . والتوراة لا تشير الى لحيان أو بني لحيان البتة ولكن هذا الاسم كان مألوفا لدى الكتاب القدامى .

وليس من شك في أن تسمية خليج العقبة بخليج لحيان يدل على أن بني لحيان لم يكونوا مسيطرين على الطريق التجاري البري فقط بل كانوا أيضا مسيطرين على الطريق البحري الى العقبة . وكان التجار الاغريق يدفعون الجزية للجباة من بني لحيان .

الثموديون

ينبئنا القرآن الكريم أن قبيلة ثمود قد بوأها الله بالأرض واتخذت من الحجر مسكنا لها . تنحت من الجبال بيوتا فأرسل اليهم صالحا رسولا يأمرهم بعبادة الله وينهاهم عن الفساد في الأرض فقالوا : **« ما انت الا بشر مثلنا فآت بآية ان كنت من الصادقين . قال هذة ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم . فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين . فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين . »** وتقع قبيلة ثمود على حدود المقاطعة العربية النبطية . ويذكر بطليموس في جغرافيته الثموديتاي (Thamyditae) انها تقع في الجزء الشمالي الغربي لبلاد العرب . ولفظة ثمودي هي بعينها « ثموديني » التي ذكرها الكتاب من اليونان والرومان والتي وردت في النص الأشوري الخاص بسرجون الثاني . كما تذكر النقوش الموجودة على معبد الغوافة الذي بنته ثمود نهاية عام ١٦٦م وبداية عام ١٦٧م ، ان قبيلة ثمود تملك حرة العوارض ، وحرة الرجاء . وكانت ديارهم تقع الى الغرب من واحة تيماء (Tima) . والحوليات الأشورية تعني بمدينة تيماء واحة تيماء .

في الوقت الذي اضمحل فيه سلطان اللحيانيين سطع نجم الثموديين في واحة الحجر . والحجر هي نفسها آبار ثمود أو مدائن صالح أو قرى صالح . وكان لها ميناء مهم يسمى الحجر وهو الذي يعرف اليوم باسم الوجه . ومن هذا الميناء عبر الجيش الروماني بقيادة أليوس جاليوس أثناء عودته من الجنوب العربي ، الى الميناء الأفريقي مويس هورمس . ويذكر الاصطخري أن الحجر من وادي القرى .

وفي أواخر سنة ١٣٢٦م زار ابن بطوطة الحجر فأعجب بمنازلها المحفورة في الصخور ويقول : ان بداخلها أكواما كثيرة من العظام ، وبين صخرتين يوجد فج الناقة الذي خرجت منه ناقة صالح . ويذكر حاجي خليفة في كتابه جهان نما (استنبول ١١٤٥هـ ص ٥٢١) انه على مسيرة نصف يوم تقريبا من العلا يوجد « مسجد النبي صالح » وهو منقور في الصخر .

ويقول محمد أديب في كتابه المنازل (ط استنبول ١٢٣٢هـ ص ٧٩) ان الحجر تعرف بمدائن صالح أو قرى صالح أو عدال . والمساكن في مدائن صالح منحوتة في الصخر ولا يسكنها أحد ، ويقول ان هناك جبلا يعرف باسم (اثان) ، وفي مرتفع منه يوجد مسجد صالح عليه الصلاة والسلام وهو منقور في الصخر .

قوم شعيب او قبائل مدين

يحدثنا القرآن الكريم أن شعيبا أتى أهل مدين أو أصحاب الأيكة فنهاهم عن عبادة الأصنام كما أمرهم أن يقيموا الوزن بالقسط ولا يخسروا الميزان . فلما كذبوه أخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين . والأيكة (الشجر الملتف) وقد كان يسكنها قوم شعيب . ففي (معجم البكري صفحة ١٣٥ ، وتاج العروس ج ٧ ص ١٠٤ للزبيدي ، ولسان العرب ج ١٢ ص ٢٧٤ لابن منظور) . ان الأيكة المذكورة كان يسكنها قوم شعيب . وقد روى عن ابن عباس في موقعها روايتان ، احداهما ان الايكة من مدين الى شعب ، والثانية انها من ساحل البحر الى مدين .

وابن خرداذبة في المسالك (ط د ي غوية ص ١٢٩) . وابن رستة (الاعلاق النفيسة ط د ي غوية ص ١٧٧) يعد أن الفرع وذا المروة ، ووادي القرى ، ومدين ، ضمن أعراض المدينة المنورة . ويروي ياقوت الحموي في معجمه عن مدين عن أبي زيد البلخي المتوفى سنة ٩٣١م أن مدين تقع على بحر القلزم محاذية لتبوك ، وبها البئر التي استسقى منها موسى بغنم شعيب . ويصف حاجي خليفة في كتابه جهان نما (القسطنطينية ١١٤٥هـ ص٢٥) مدين فيقول: ان مدين اطلال على ساحل البحر تقع الى الغرب من تبوك ، وعلى مقربة منها يتعرف الناس على صخرة فيقولون انها هي التي انبثق منها الماء بأمر موسى . وهناك ينمو كثير من الأثل والنخيل . وفي بطن الوادي أسوار قديمة وصفائح من الأحجار عليها نقوش وأسماء لملوك عديدين . وهذه الصفائح ذات النقوش التي يشير اليها حاجي خليفة قد تكون بعضا من البقايا التي تساقطت من حوائط مباني النبطيين وواجهاتها ، والتي تشاهد عليها بقايا النقوش النبطية . ويقول جهان نما أن واحة البدع تسمى مغاور شعيب لأن نبي الله شعيب كان يعبد الله في تلك المغاير .

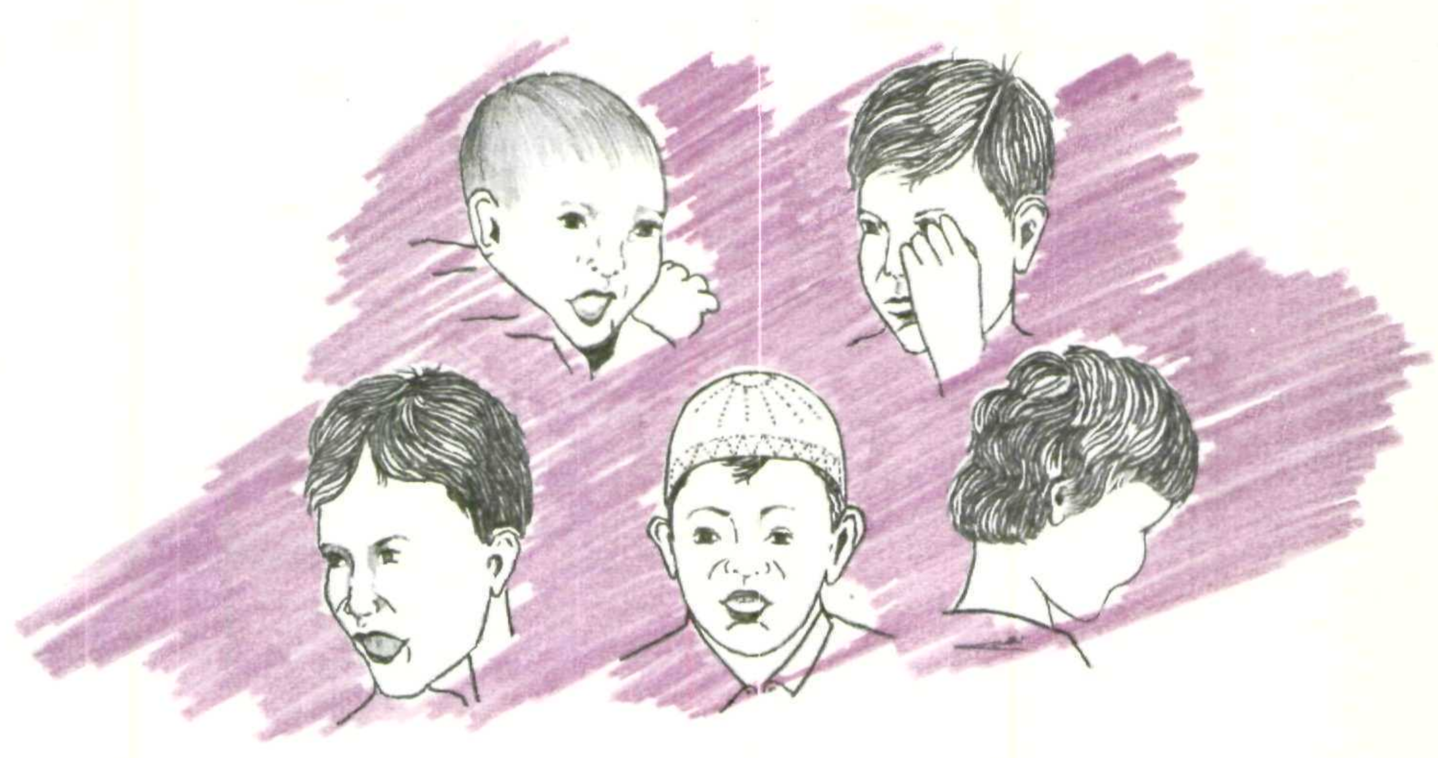
لكن المستشرق ا. موسل استاذ الدراسات الشرقية في جامعة براغ يقول : ان المنطقة الرئيسية التي كانت تسكنها قبائل مدين تقع في المنطقة المجاورة لواحة البدع ، وان أقصى حدودهم من الجنوب هي واحة ديدان (العلا الحالية) .

وسبأ هي بعينها شبا التي يذكرها الانجيل . والمعروف أن الموطن الأصلي لسبأ هو الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية حيث أقامت دولة ذات سلطان ونفوذ عظيمين . ولكن خلال الألف الأولى قبل الميلاد ، كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب واقعا في أيديهم وأيدي المعينيين الذين كانوا ينافسونهم في السيادة لا في بلادهم فحسب بل في الواحات التي تمر بها الطرق التجارية أيضا . فكانت تقيم في كل واحة من الواحات المهمة ، جالية من عرب الجنوب ، وكانت تقيم معهم حامياتهم العسكرية . وقد كانت واحة ديدان (العلا) هي المركز الرئيسي للنفوذ السبئي في شمالي بلاد العرب . ففي هذه الواحة كان يقيم حاكمهم أو كبيرهم الشريف ايتمارا السبئي الذي أرسل الجزية الى سرجون الثاني قبل عام ٧٠٧ قم. ومن المحتمل وجود آثار سبئية في الشمال الغربي من الحجاز ، كما توجد آثار معينية في نجران .

وحي الطفولة

البابا

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري



ما سر ذلك الفرح العظيم الذي يشعر به كل انسان وهو يتأمل وجه طفل ؟ أهو نشوة استطلاع الحياة في نمائها وتفتحها واقبالها ، أم هو الحنين الى عاطفة الأبوة أو الأمومة الكامنة في نفس كل مخلوق ، أم هو الرغبة في العودة الى عالم النضارة والسذاجة والمرح ، أم هو الاحساس العميق بالحاجة الى صفاء النفس ونضارة الروح ؟

الحق ان هذه العواطف جميعا تملأ نفوسنا كلما تأملنا وجه طفل . ولكن شعورنا الخفي بذلك الابتهاج العظيم ، يرجع الى أن مختلف صور الحياة تتمثل في وجوه الأطفال رائعة الدقة ، فاتنة التعبير .

فالطفل هو الحياة ، لم يمسخها العقل ولم تشوه معالمها فروض المجتمع . هو العاطفة المطلقة ، والطبيعة الحرة ، والوجه البشري البرىء .

لذلك نحن نبتهج بالأطفال . نبتهج بهم لأنهم يحيون الحياة الرحبة التي أفلتت منا ، ولأن هذه الحياة الرحبة التي ما ننفك نتوق اليها ، تبدو في وجوههم كاملة المعنى ، بل كاملة الصور والألوان .

فهذا طفل ممتلىء الخدين ، متألق العينين ، يضحك ، فيخيل اليك أن عناصر الطبيعة الكبرى تمرح فيه ساخرة بالألم ، هازئة بالعواقب .

وهذا طفل حالم منكمش ، هادىء الحركة والاشارة ، يبتسم ، فيخيل اليك أنه شاعر مستغرق في حلمه ، استفاق بغتة على صوت إلهامه ، فجعل ينصت لعروس شعره . وهي تنشده وهو يبتسم لها .

وهذا ثالث محني الرأس . مشوش الشعر ، متقرح العينين ، يبكي ، فيخيل اليك انه والجبار في الألم سواء ، وانه كالجبار عاجز ، وكالجبار ذليل ، وكالجبار يكافح الألم وينشد الخلاص .

وهذا رابع ، مشرق الطلعة ، عالي الجبهة ، لامع النظرة ، تتدفق من هيكله الضئيل موجات من نور ، فلا تكاد تحدق اليه حتى ترتجف وترتد وملء نفسك الشعور بأنك حيال قبس من صفاء الملائكة . !

فالحياة الظاهرة تتمثل في وجه كل طفل صغير لم يعرف الشر بعد . وهذه الحياة التي تنبع من روح الطفولة قد تغنت بها طائفة كبيرة من نوابغ الشعراء والأدباء في العالم واتخذت منها مصدر وحي لأعمال فكرية رائعة ، وقصائد شعرية شائقة ، ورسائل شخصية تفيض رقة وعذوبة وجمالا .

من ذلك ما كتبه الشاعر الفرنسي الكبير فيكتور هوجو في احدى رسائله الى الناقد المشهور سانت بوف : « لا راحة للانسان في حب امرأة . الراحة كل الراحة في حب الأطفال . في حبهم النزيه الذي لا يخدع ، في قلوبهم النقية التي سرعان ما تصفح ، وفي ابتسامتهم التي تعرف دون سواها كيف تقدم النفس هبة خالصة !... وأنا كلما نظرت الى وجه طفل تخففت من همومي وأقبلت على الحياة بنفس راضية وزايلني على الفور احساس التشاؤم الممض القاسي وحل محله شعور بالتفاؤل يملأني ثقة وعزما وقدرة على المجالدة والكفاح . ثم ان الطفل وهو ينطلق في فسحة الدنيا يندفع بالرغم منه الى

استطلاع الحياة واستكشافها . وكذلك عندما أتأمل الطفل أقتدي به على الرغم مني ، وأريد أن أستكشف الحياة مثله واستبطن أسرارها عساي أستشف جوهرها الخالد الأبدي . فالطفل يعلمني كيف أنظر وكيف ألاحظ وكيف أسجل وكيف أحتفظ بنزعة الاستطلاع التي هي وقود العقل وباعث المعرفة » .

أما القصصي العبقري فيدور دستويفسكي فقد كان يرى في وجوه الأطفال ما لا يراه الناس . كان يقدرهم غاية التقدير ، ويقضي الساعات في اللهو معهم ، وينسى في صحبتهم عقله ، يحاول ما استطاع الاندماج فيهم والتشبه بهم .

وان ما يطالع قصته الفذة « الأخوة كرامازوف » يراه ، وقد تمكن منه ولعه بالأطفال ، يرسم لهم صورا دقيقة الملامح ، ناطقة السمات ، فيها البراءة والمحبة والتضحية ، كما فيها الصراع بين هذه العواطف السامية وبين ما يعترضها في المجتمع من رذائل وشرور يبهت لها الأطفال وتدهشهم فيحاولون التغلب عليها بما يكمن في طواياهم من براءة أصيلة وطهر عميق .

وفي وسعنا أن نقول أن فلسفة دستويفسكي لم تقم أساسا الا على تمجيد روح الطفولة ، وان أحب أبطال قصصه الى نفسه ، هم أولئك الذين صفت قلوبهم ، ورقت مشاعرهم ، وعاشوا كأطفال كبار .

وأما شاعر الهند طاغور فقد كتب الى الأديب الفرنسي « رومان رولان » رسالة مستفيضة جاء فيها : « ... عندما كنت شابا ، كانت غرائزي أقوى مني ، وكانت جاذبية الملذات المحرمة على وشك أن تستبد بي وتهلكني . فلكي أتغلب عليها وأقهرها ، لجأت الى الله ، وشرعت أصوم وأصلي ، وأحاول أن أنظم شعرا روحيا خالصا أمجد بـه الذات المهيمنة العليا . ولكني أحسست مع ذلك أن نفسي لم تكن طاهرة كما كنت أتمنى ، وانـي غير جدير بالرعاية الإلهية التي كنت أنشدها ، وان تلك الجاذبية المحرمة الخبيثة ما تزال تحوم حولي وتراودني . فاضطربت وتخبطت ومضيت أبحث في كياني عن حافز خفي ينقذني . وعلى حين فجأة تمزق الضباب الذي كان يغشى حياتي ، وانجابت السحب عـن بصيرتي . فأشرق وجداني وعقلي وأدركت ... أدركت اني من المحال أن أمجد الله كما أروم وأشتهي ، ومن المحال أن أعبده حق عبادته ومن المحال أن أبدع شعرا روحيا صافيا وخالدا ، الا اذا أيقظت في نفسي روح طفولتي ، وتطهرت بمائها القراح من كل رجس في فكري وجسدي ، وجمعت في شعري بين عقل الرجل الناظر في حكمة الى شؤون الأرض ، وبين قلب الطفل المتصل في براءة بأجواز السماء ... فالرجوع الى الطفولة كان خلاصي ، ومن نبع الطفولة ما زلت أستمد وحيا لشعري ، وقوة أحلق بها في رحاب الطبيعة ممجدا خالقها الذي هو ربي وإلهي ! ... »

° ° °

وإذا كانت الطفولة قد ألهمت عددا كبيرا من نوابغ أدباء العالم وشعرائه ، فهي قد ألهمت أيضا طائفة ممتازة من أديبات الغرب وشاعراته . وليس هذا بمستغرب . فالمرأة أم قبل كل شيء ، ومن أحشائها تنبثق الحياة ، وفي أطفالها يزدهر الكون ، وتتجدد الدنيا ، ويمتزج الفرح بالألم والسعادة بالشقاء والأمل بالدموع .

وهذه صيحة أم أطلقتها الشاعرة الفرنسية المبدعة « هنرييت شاراسون » في قصيدة تتمثل فيهـا نشوتها العارمة بمولودها البكر : « يا أملي ، يا نور عيني وبهجة قلبي وثمرة وجودي ! ...

ما عرفت الحياة حتى عرفتك ، وما شعرت بالعزة الا حين رأيتك ، وما اصطخب الحب في صدري هدارا مجلجلا الا يوم ان حملتك ! ...

كنت سرا مستخفيا في كياني ، فانفطر هذا الكيان عنك يا حبيبي في ساعة موت كانت هي ساعة الحياة ! .

وها أنتذا الآن أمامي حقيقة من لحم ودم . حقيقة تختلط بجوهر حقيقي ، ويسري دفؤها الغامر الحي في عروقي .

فأي حظ سيكون حظك في غد يا حبيبي ؟ ...

هل ستزحف على الأرض أم تمشي ، هل ستقف أم تثب ، هل ستتكلم أم تصرخ ، هل ستحني الرأس تحت العاصفة أم تنهض في وجهها منصوب القامة كالشراع ؟ ...

اني لأريدك صورة فذة من صور البطولـة يا حبيبي . فاستمع لوصيتي ولينفذ الى صميم روحك أكسير كلماتي : حذار من الضعف ساعة اليأس ، ومن الاحجام ساعة الاقدام ، ومن الغرور ساعة النصر . فكن قويا يا بني وكن في قوتك عادلا . فالله يأمر بالعدل والله يحب الأقوياء ! »

° ° °

أما هذه فصرخة فاجعة أطلقتها الشاعرة الايطالية الموهوبة « آدا نيجري » في قصيدة مثلت فيها مأساة أم فقدت وحيدها فانهارت بفقده حياتها :

« اطمئن ، اطمئن يا طفلي المحبوب ... يا ولدي الحبيب ... سألحق بك ...

أنا أعلم انك تنتظرني منذ وقت طويل ، وانك تبكي بدموع غزيرة كلما أقبل الليل .

أنا أعلم انك لن تستريح الا اذا رقدت في حضني واحتميت في صدري ، وأسندت الى كتفي الثابتة الوطيدة رأسك الصغير الجميل ...

أنا أعلم انك ترقد الآن في مهد من الطين ، وان العاصفة الغاشمة قد هبت عليك ، والمطر الغادر قد اخترق قميصك الجديد الذي حاكته لك يداي المرتعشتان .

اطمئن ... اطمئن يا حبيبي ... منذ رحلت عني والمرض يفتك بي ... سألبي النداء ... سألحق بك ! ... ولكن يجب أن تنتظر ... أن تنتظر قليلا ... ريثما أشعل النار في الموقدة ، وأهيىء الطعام لوالدك ! ... انه مسكين ! ... ينبغي أن يجد كل شيء في بيته منظما ونظيفا ...

هأنذا ... اني قادمة ... لقد انتهيت ! ...

ولما دخل الزوج بيته واتجه بخطى متثاقله صوب مخدع نومه ، أبصر امرأته جثة هامدة ممددة على الفراش ، تقبض أصابعها على خصلة ذهبية من شعر طفلها الوحيد الذي مات منذ شهر واحد ! ... »

هذه أمثلة مختارة من نثر وشعر أوحت بها الطفولة الى فريق من كبار الأدباء والأديبات ، أتينا بها للدلالة على ما للطفولة من أثر عميق يهذب النفس ويسمو بها . والحق ان أنظار الشعراء والأدباء والمصلحين جميعا تتجه على الدوام صوب الطفولة . فالشاعر الفذ ينشد العودة الى الفطرة ، والفطرة هي الطفولة . والأديب الفذ ينشد البساطة ، والبساطة هي الطفولة . والمصلح الفذ ينشد الخير والسلام ، ولا خير ولا سلام الا في قوة مستمدة من روح الطفولة .

فالطفولة اذن هي البقية الباقية من أمل الانسان في السعادة على هذه الأرض . بل ان قيمة الأخلاق والعواطف كامنة في فضائل البراءة والطهارة والصفح والنسيان التي تشرق بها روح الطفولة .

فاحرص على طفولة روحك حرصك على حدقة عينك الثمينة . وإياك أن تجعل عقلك المتكبر الأناني يطغى عليها . واعلم أن بين طفولة النفس وتكبر العقل معركة يومية دائمة ، لو هزمت الطفولة فيها ، فالأخلاق لا بد أن تتحلل ، والسعادة الروحية لا بد أن تموت ، والعقل يصبح نهبا مقسما لأوضع ما في النفس من نوازع وشهوات .

دراسة في ديوان ألحان منتحرة

بقلم الاستاذ : عبد الفتاح ابو مدين

ذلك هو الديوان الخامس .. للشاعر الصديق الفنان «حسن عبد الله القرشي» وقد صدر له ديوانا آخر ، بعد هذا بشهرين هو «نداء الدماء» . وللأستاذ القرشي ، باع طويل في دنيا الشعر الرشيق الجميل . وهو شاعر ، تمكن من فنه ، فمضى في آفاق هذا الفن ، يرتفع مع انفعالاته ، وتهدأ حاله في مواقف أخرى . والذي يطالع ، شعر الصديق العزيز يشعر بالحرارة ، ويشعر بالهدوء حسب تأثر الشاعر ، وحسب ظروف الايحاء ، ان صح هذا التعبير .

والشاعر من المجددين المبدعين. نغماته عذبة ، وشعره خفيف .. على اللسان. لكنه يرجح في وزنه بالقياس الى شعر كثير من نتاج اليوم .

والقرشي شاعر محافظ على مستواه ، ونتاجه رغم انه ، يشارك في الشعر الحر .. تحررا من بعض قيود الشعر ، الا انك لا تجد ابتذالا ، في نظم الشاعر . وتجد خفة شعره ، في الأوزان التي يختارها ، وكذلك خفة الألفاظ الرائعة المتوائمة . وهو لا يطيل ، ولكنه يبلغ غايته ، في قصائده ومقطوعاته التي حفلت بها دواوينه الستة.

والشاعر ، قد أسمى ديوانه «ألحان منتحرة» وذكر في مقدمة هذا الديوان ان اسم الديوان قد لا يرضي بعض اصدقائه . ومضى يقول – ولكني رضيتها – لأنها تسمية ترضى عنها الحقيقة . وأنا لا أريد أن أعارض الشاعر الصديق في تسمية ديوانه ، ولكني أحب أن أسأله كيف وصل الانتحار الى الالحان ؟ أم ان التسمية من باب الاستعارة . ؟

ربما كان الصديق لا يريد أن يقول – ألحان منتحر – لا سمح الله ، فنسب الانتحار الى الألحان ، وهي استعارة مقبولة جاءت في اللغة العربية .. المهم في الأمر أن الشاعر استطاع أن يجمع أشعاره أو قل «يبوبها» ، فجمع في نداء الدماء شعر الكفاح والثأر وجمع في هذا شعر الألم والغدر والحنين والحرمان وآلام المحب وحزن الحب الى غير هذه الألوان التي يمكن أن يطلق عليها «استعارة» انتحارا .

وكما قلت آنفا ، فشعر هذا الشاعر خفيف وسهل لا يحتاج الى عناء في قراءته وفهمه .. هو شعر اليوم ومن جيده . ورغم أن الشاعر مقيد بأعماله وظروفه الا أن انطلاقة الموهبة تحول انفعالات الشاعر الى الألحان مرقرقة جذابة حسب تأثر نفسية الشاعر ، وحسب الظروف التي تصاغ فيها هذه القصائد وعلى قدر المواقف ، واستعداد الشاعر النفسي الى تحويل انفعالاته الى الحان .

والشاعر يعنى بالمبالغات البعيدة في أشعاره . ولكنه متزن . يرسم الصور ، ويحليها أو يزينها ان كانت المناسبة تتطلب التزيين في الاطار ، وتوزيع الألوان . والشعر فن والفنون أشياء جميلة . وشاعرنا يجمع بين الشعر الجيد والنثر كموضوعات في الدرس والنقد . وهو طموح مكافح يدرس المناهج كي يماشي الآخرين في صفوف العاملين الذين أتيح لهم أن يصلوا في دراساتهم الى المستوى الرفيع العالي . لم يقنع بمركزه العملي ، ومستواه الأدبي المرموق . ولم تثن عزمه مشاغله بل دفعه الطموح الى نيل جائزة الجامعة . وما ألذ الطموح ، وأعذب الكفاح المقدس النبيل .

ورغم أن سوق الأدب كاسدة عندنا الا أن الشاعر شجاع .. يجمع أشعاره في دواوين ، يكلفه طبعها نفقات وجهدا . وهو كريم ، لا يبخل باهداء نتاجه المطبوع الى أصدقائه وسواهم . قد لا يعنى بعملية الرواج والتصريف ، ولكنه يضحي ، كمشاركة كريمة ، في اشاعة نتاجه ، ليثبت أن لنا أدبا ونتاجا يمكن أن يقف الى جانب أي نتاج قيم في عالم الأدب العربي .

وهو يعنى كذلك باخراج صوره الشعرية كما تريدها مواقف موضوعاتها في اطارات تتلاءم مع هاته الصور ، حسب حالاتها .. فقصيدة «ضياع» تشغل حوالي خمس وعشرين صفحة من هذا الديوان وتعتبر قمة في تسلسلها وانسجامها ، فهي من بحر واحد ، وان اختلفت قوافيها ، وهي في معانيها منسقة مركزة قوية . وهي قصة تصور معنى الضياع في ثلاثة وثلاثين مقطعا تتدرج أو تنتقل من مرحلة الى أخرى من غير تنافر أو فراغ تحس به وأنت تمضي في قراءة هذه القصيدة الرائعة السهلة . وتبدأ القصيدة بهذا المقطع :

قدك يا هذى الا تدرين ما بي ؟
أنت حلمي ونشيدي وعذابي
أنا لا آسى لبعد واقتراب
أنا لا أبكي لصد أو غياب
انما آسى وأبكي لشبابي
ولفقدان نعيم مستطاب !

وتمضي القصيدة الرائعة ، على هذا النمط المنسق الأخاذ . وليس فيها على طولها ، شيء من ضعف أو مأخذ يمس قيم الشعر الرفيع الجيد . فاقرأوا معي الفصل الثاني لتروا الانسجام والتماسك ، والتسلسل الدافق .

كلما رن بأجوائي غناء
أو سرى في غسق الليل حداء
هز نفسي فتولاها الشقاء
فصدى الالحان لي ظل وماء
قد تصبانا معا فهو هباء
ليس لي وحدي به ثم عزاء

أرأيتم كيف أن الشاعر يسير في تصوير قصة «الضياع» بخطى ثابتة لا يعتريها الوهن ، ولا يشوبها التكلف . ولا تختل وحدتها الموضوعية الرنانة؟

ان هذه القصيدة تشدني قوتها ومراحلها الانتقالية الرفافة .

واقرأوا معي الفصل العاشر من هذه القصيدة ، ان شئتم :

واذا البلبل في الروض تغنّى !
مهديا أزهاره لحنا فلحنا
مسكرا أغصانه غصنا فغصنا
في جوار الألف يشدو مطمئنّا
قلت يا بلبل : صه اني معنّى
غدر الألف عهودي وتجنّى

ان الشاعر ينتقل في تصويره المبدع من معنى الى معنى .. ومن مرحلة الى أخرى . حسب تسلسل قصة هذه القصيدة .

وفي الفصل أو المقطع الثامن والعشرين ، يقول الشاعر :

قلت في القصة لي بعض عزاء !
فمآسي الناس تسليني شقائي

فـــاذا كل أقاصيصي الظمـــاء
وأحـــاديـــث الحـــزانـــى البؤساء
تـذكـــر الروح بآلام التـنـائــي
بـانطفـائـــي بـــين صبح ومساء

ويشتمل هذا الديوان على ثماني عشرة قصيدة ومقطوعة وثلاث أخرى من الشعر المتحرر ، وآخر قصيدة « طفل عنيد » من الشعر المتحرر ، لطيفة تصويرية .

ويعلن الشاعر أن شعره جنى عليه . وجر اليه المتاعب والعناء . ويرى انه لولا شعره لما شقي بما لقيه ، بعد أن أنشأ هذا الشعر .

ولعله بهذا يذكرنا بقول الشاعر العربي الفحل « أبو الطيب » .

« ذو العقل يشقى في النعيم بعقله »

واستمعوا الى شاعرنا ، يردد في « طفل عنيد »

سألعن شعري !
وألعن يوم غمزت اليراع وخطيت شعرا !
فصوّر آلامي الراعشات
وهـدهـــد أشواقي المبهمات
ولون احساسي المضطرم !
ومس – برغمي – أوتار نفسي
وزلـزل باليأس روحي الأبيّ
وأيقظ في معاني النـــدم !

ويبدو لي أن الشعر لم يكن الجاني على الصديق ، ولكن الشعور هو العامل الأساسي . الا يقال

آفة المرء في الحياة شعور ؟

والشعر الصادر عن هذا الشعور ، شعر احساس وانفعال وآلام قبل أن يكون صناعة وزخرفا وكلاما يسطر ويذاع .

ومن العدل . أن نجاري الشاعر الملهم . فالشعور والأحاسيس ، بعد ما أصبحت كيانا ومعانـــي مشاعة ، حدث رد الفعل ، أو سمه ان شئت الأحاسيس المجسمة ، ومدلولات وقائع ، وصورا . تترجم خلجات وتنقلها الى أحداث يعيشها الناس ويمضي الشاعر في القول :

سألعن شعري !
فـقـــد هـــز روحـــي بمأساتيــه
وجســـم أوهـــامـــي العـــاتيــه
وعـــرّى فؤادي وأسرار ضعفي !
وأوغـــل فـــي عمـــق أعماقيـــه
أزاح الستـــار بغـــور شعـــوري
فـأبصرت – محـــترقـــا – ذاتيـــه

انه تصوير واقعي مركز جميل ، في شعر تحرر من القوافي ولزم أوزانا حفظت موسيقاه وايقاعاته . وتحية للشاعر خالصة كريمة .

طرائف

« الطمع ضرّ ما نفع »

أقام رجل أثناء الحرب مأدبة عشاء دعا اليها أحد عشر شخصا . وكانت المأدبة عبارة عـــن طبق كبير عليه اثنتا عشرة قطعة من اللحم الدسم ، فأخذ كل مدعو نصيبه وبقيت القطعة الثانية عشرة في الطبق وقد حدقت بها أنظار المدعوين .

وفجأة انقطع التيار الكهربائي ، وخيمت الظلمة الحالكة على المائدة . فلما أضيئت الأنوار من جديد رؤي أحدهم يسحب يده من الطبق وقد غرزت فيها عشر « شوكات » .

جواب مفحم

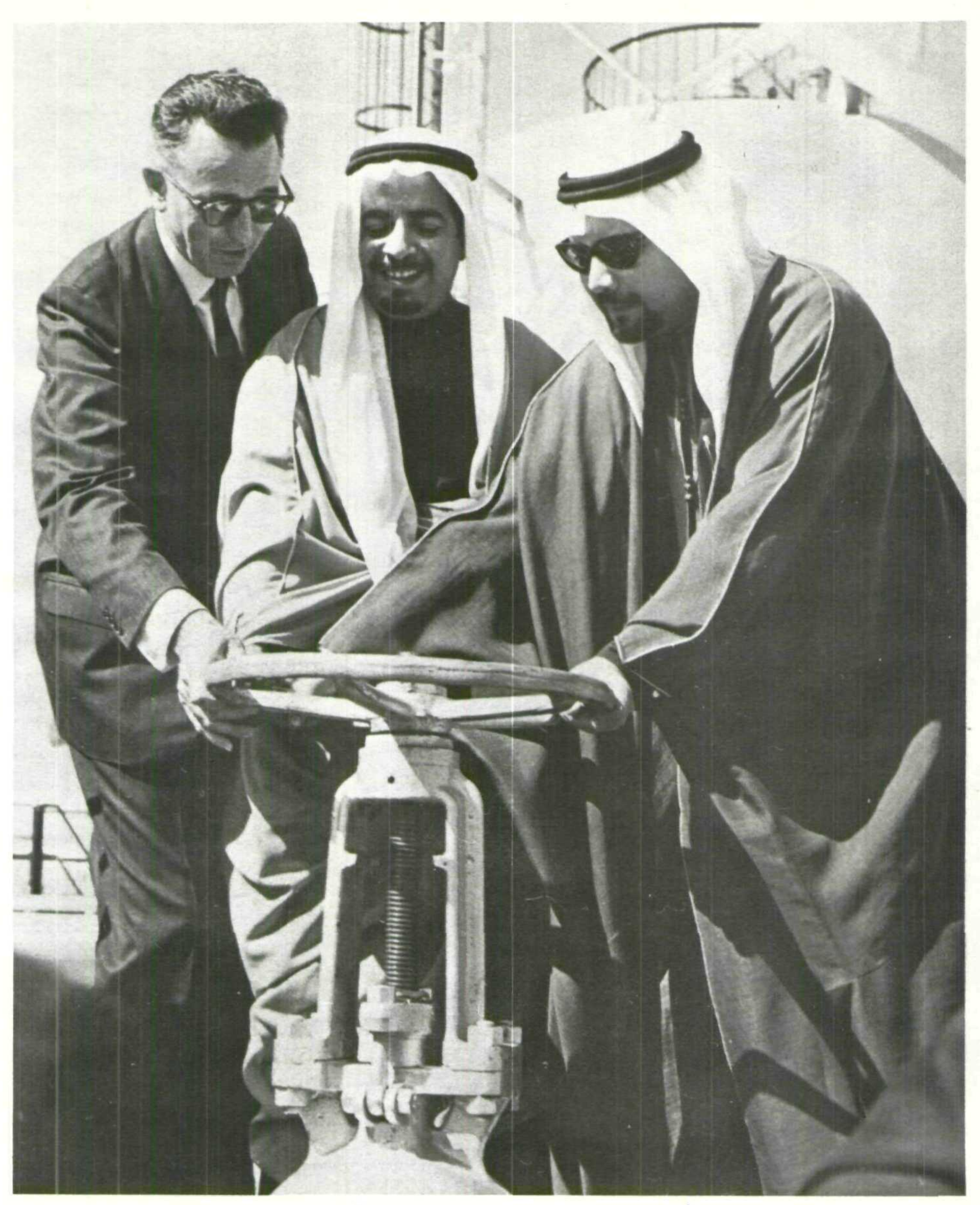
قال الفرزدق : كنت أنشد بجامع البصرة وفي حلقتي الكميت بن زيد ، وهو صبي ، فأعجبني حسن استماعه ، فقلت له : كيف سمعت يا بني؟ قال : حسنا . قلت : أفيسرك اني أبوك ؟ قال : أما أبي فلا أريد به بديلا ، ولكن وددت أن تكون أمي . قلت : « أسترها » .

ولكن يدي أطول

بينما كان أفراد الأسرة يجلسون حول المائدة بصحبة بعض الضيوف مد الصغير يده الى طبق من الطعام بعيد عنه .. فقالت له أمه بحنق : ألا تملك لسانا ؟ ! .. قال : نعـــم .. ولكن يدي أطول !

عجيب ....!!

أصيب جحا ذات يوم بوعكة شديدة ألزمته الفراش فأدخلت الى نفسه الرعب والفزع . ولما سئل عمن سيرثه قال : لا وارث لي . قيل له : وأمك ؟ فأجاب : لقد طلقها أبي منذ زمن بعيد .



رؤساء الوفود الثلاثة (من اليمين) الشيخ أحمد زكي يماني ، وسمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة ، والمستر بارقر ، يفتحون الصمام ايذانا بتدفق زيت حقل أبي سعفة المغمور الى مرافق الانتاج .

افتتاح حقل جديد في مياه الخليج العربي

احتفل رسميا يوم ١٠ شوال ١٣٨٥ الموافق ٣١ يناير ١٩٦٦ في منطقة رأس تنورة ، ببدء تدفق الزيت من حقل « أبو سعفة » المغمور بالمياه ، والذي تشترك في ريعه حكومتا المملكة العربية السعودية والبحرين . وقد مثل المملكة الى حفل الافتتاح وفد برئاسة معالي الشيخ أحمد زكي يماني ، وزير البترول والثروة المعدنية ، ومثل البحرين وفد برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة ، رئيس المالية ، كما مثل شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) وفد برئاسة المستر توماس بارقر ، رئيس الشركة . وقد ألقى رؤساء الوفود كلمات في هذه المناسبة تحدثوا فيها عن عرى التعاون الودي وأواصر الأخوة الوطيدة التي تربط البلدين الشقيقين ، والتي وصفها المستر بارقر في كلمته بأنها خير مثل يحتذى به في الوصول الى الاتفاق المثمر والتفاهم التام . وحقل أبي سعفة ، الذي يعود اكتشافه الى مايو ١٩٦٣ ، يعتبر ثالث حقل مغمور بالمياه بعد حقلي السفانية ومنيفة اللذين تم اكتشافهما في ابريل ١٩٥١ ونوفمبر ١٩٥٧ على التوالي . ويقع هذا الحقل الجديد على بعد ٤٨ كيلومترا الى الشمال الشرقي من منطقة رأس تنورة . ويبلغ طوله حوالي ١٤ كيلومترا ، وعرضه حوالي ١٠ كيلومترات .

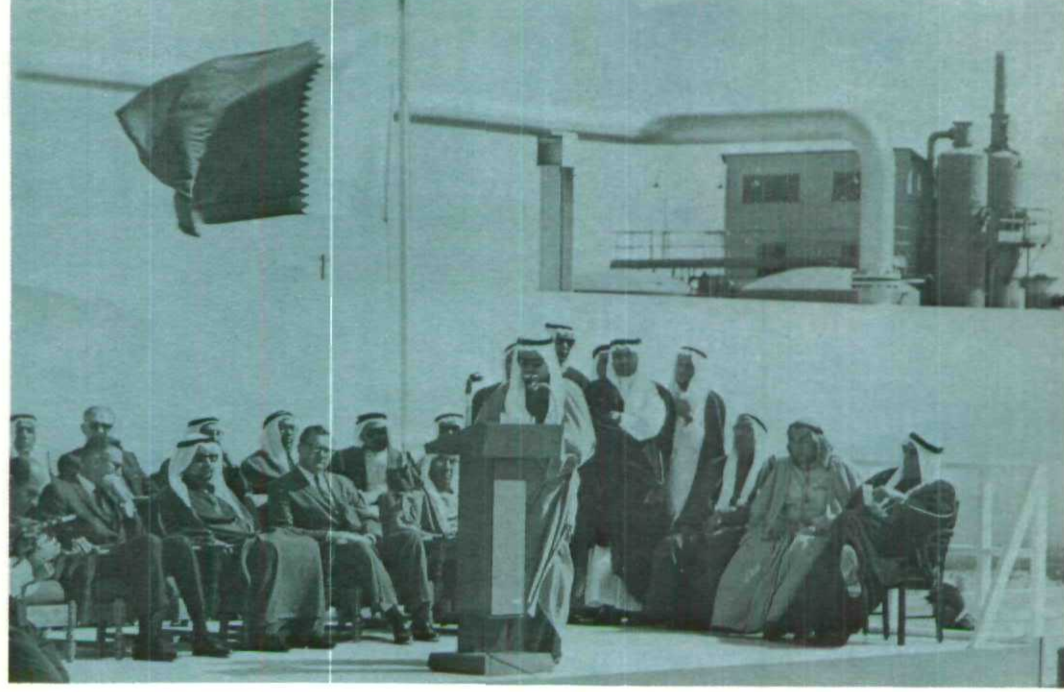
في أوائل ابريل ١٩٦٣ حفرت أولى بئر تجريبية أثبتت الفحوص توفر الزيت فيها بكميات تجارية . ونتيجة لذلك وافق مجلس ادارة أرامكو على انشاء المرافق الضرورية لتسيير الزيت وترحيله . وبحلول شهر أكتوبر ١٩٦٤ ، انتهى برنامج الحفر التطويري فأصبح بذلك عدد الآبار التي يضمها حقل أبي سعفة تسعا ، من بينها ست منتجة للزيت . وقد تم حفر هذه الآبار التي يبلغ متوسط عمقها حوالي ٦٤٠٠ قدم ، في مياه يقدر عمقها بنحو ٧٥ قدما .



المستر توماس بارقر ، رئيس شركة الزيت العربية الأمريكية ، يلقي كلمة ترحيبية بالحاضرين يوم حفل الافتتاح

صاحب المعالي الشيخ أحمد زكي يماني ، وزير البترول والثروة المعدنية ، يلقي كلمة وفد المملكة العربية السعودية .

صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة ، رئيس المالية ، يلقي كلمة وفد حكومة البحرين .



المستر بارقر يشرح لأعضاء الوفدين



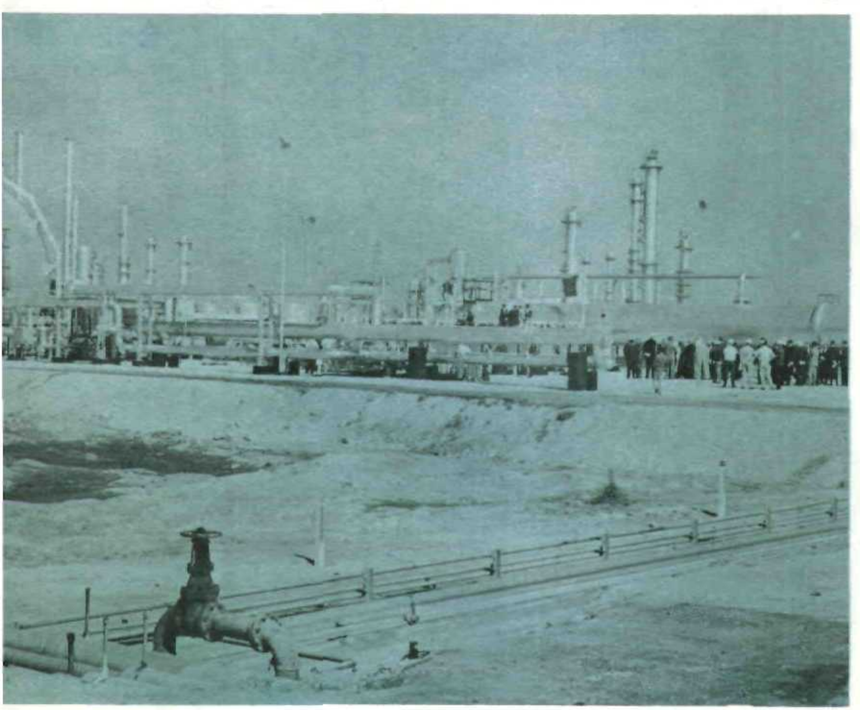
وفي مطلع ابريل ١٩٦٥ بوشر في انشاء مرافق الانتاج والمنشآت الضرورية .

هذا وتبلغ طاقة انتاج حقل أبي سعفة المغمور ٣٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام يوميا . وتشير الفحوص والتحاليل المختبرية الى أن زيت هذا الحقل حامض وان نسبة الكبريت فيه هي حوالي ٢,٩٥ في المائة . وهو قريب من خواصه من الزيت العربي المتوسط اذ يبلغ ثقله النوعي ٣٠ درجة حسب مواصفات معهد البترول الأمريكي .

يتدفق الزيت الخام من آبار الحقل الست المنتجة عبر خط من الأنابيب مغمور بالمياه ، يبلغ طوله ٤٨ كيلومترا وقطره ١٨ بوصة . وهو يمتد من منصة التجميع الى معمل فرز الغاز من الزيت الواقع بالقرب من معمل التكرير برأس تنورة . وتبلغ طاقة هـذا المعمل ٣٠٠٠٠ برميل يوميا ، وهو يتألف من « مصيدة » اسطوانية الشكل سعتها عشرة آلاف برميل وصهريج شبه كروي سعته أيضا عشرة آلاف برميل . كما تضم

حقل « أبو سعفة » المغمور عند غروب الشمس ، حيث تبدو المنصة وصندل الحفر في المكان المخصص للحفر .

منظر عام لمعمل فرز الغاز من الزيت في رأس تنورة التابع لحقل أبي سعفة ، ويبدو يمين الصورة جانب من المدعوين بانتظار وصول وفدي القطرين الشقيقين الى سرداق الاحتفال .



...كريمين بعض مرافق أبي سعفة لفرز الغاز من الزيت .





صندل الحفر رقم – ١ أثناء عمليات الحفر في حقل أبي سعفة المغمور .

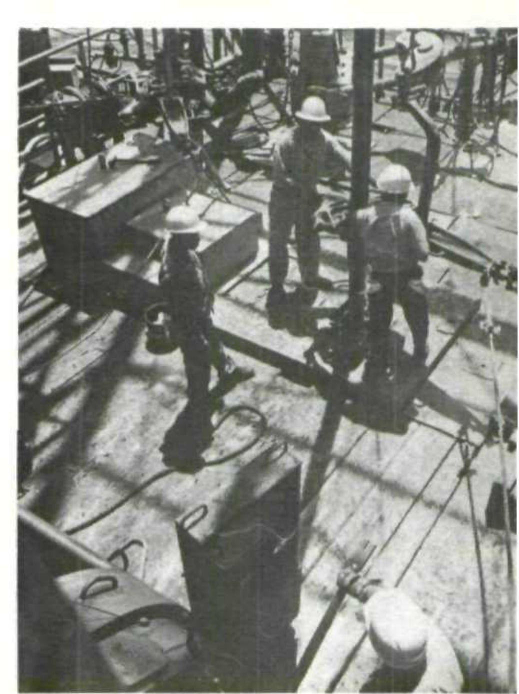
أجزاء المعمل مضختين كهربائيتين قوة كل منهما ١٢٥ حصانا ، وتستطيع الواحدة منهما ضخ ما معدله ١٨٢٠ جالونا من الزيت الخام في الدقيقة . هذا بالاضافة الى وعاء لفرز الغاز من الزيت ، وعدادين لتسجيل كميات الزيت الواردة من الحقل ، ومصفاتين لتنقيته من الشوائب والعناصر الغريبة . ولدى فرز الغاز منه ، يلتقي زيت أبي سعفة بزيت الخرسانية في خط واحد ينتهي بهما الى مبنى مضخات التقوية لضخهما الى صهاريج الخزن في معمل التكرير برأس تنورة تمهيدا لشحنها . أما بالنسبة للغاز المفروز ، فانه يدفع الى شبكة غاز الوقود لاستخدامه كوقود للأفران والمكابس التابعة لمرافق التكرير .

والجدير بالذكر أن معظم رجال الحفر الذين قاموا بعمليات الحفر في حقل أبي سعفة هم من العرب السعوديين الذين اكتسبوا خبرة ومهارة في هذا الميدان . وقد استخدم في عمليات الحفر صندل الحفر المتنقل ADT-I . الذي يحتوي على معدات كثيرة وآلات ضخمة ومضخات للطين ومكان لتخزين الاسمنت والماء والأنابيب ، كما يضم جناحا خاصا للسكن يستوعب خمسين شخصا الى غير ذلك من الوسائل الضرورية لتأمين راحة الموظفين الذين يعملون فيه .

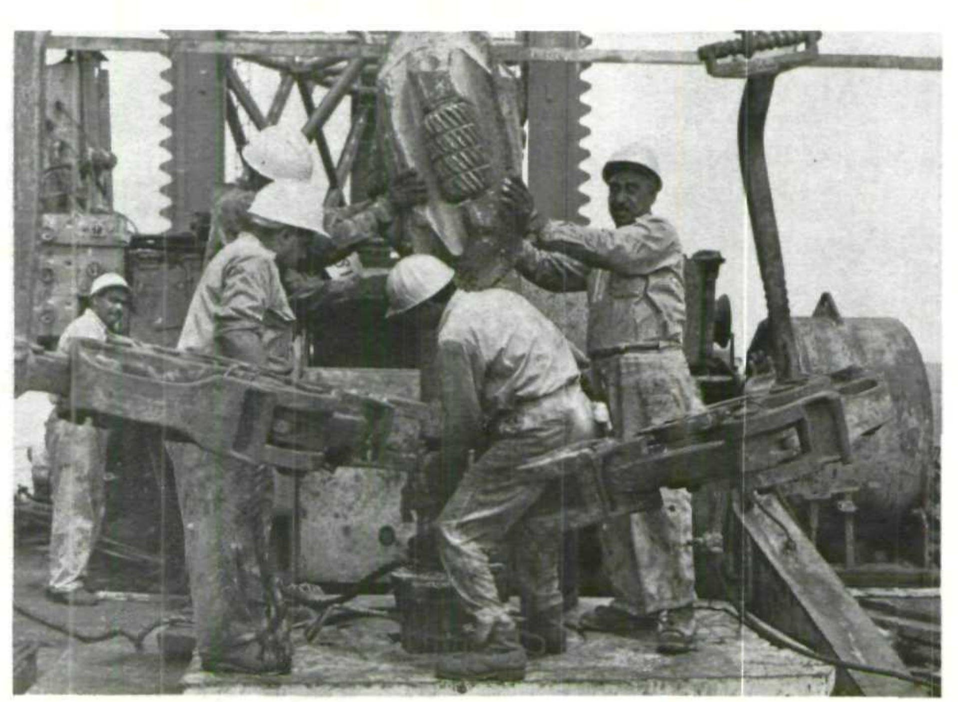
ومن المعروف أن حقول الزيت المغمورة بالمياه تستأثر بأهمية بارزة في صناعة الزيت المعقدة المراحل . فالتنقيب عن الزيت في المناطق المغمورة عملية شاقة باهظة التكاليف ، تستدعي جهودا ونشاطات ضخمة تدعمها استعدادات واسعة النطاق ، ودراسات وافية تستند الى العلم والخبرة والمراس . هذا فضلا عن المعدات والآلات الضخمة والأجهزة الالكترونية الحديثة التي تزود المهندسين بمعلومات عن معالم مكامن الزيت وتركيب طبقات الأرض تحت الماء .

وحقول الزيت المغمورة ، شأنها كشأن الحقول الأخرى على اليابسة ، تخضع دائما للتوسع والتطوير بغية زيادة الانتاج الى حد يتماشى ومتطلبات الأسواق العالمية .

عوني ابو كشك



هكذا يبدو سطح صندل الحفر وقد غص ظهره بمختلف المعدات والآلات الضخمة تسيرها أيد عربية سعودية ماهرة .



بعض الحفارين العرب السعوديين يقومون بتركيب مثقب للحفر أثناء حفر البئر الأولى في حقل أبي سعفة .
تصوير : برنت مودي ، وعبد اللطيف يوسف

في السفينة الجوّالة على شواطئ البحيرة

للشاعر : جورج صيدح

في مدينة جنيف وعلى ضفاف بحيرة ليمان كان بحران الشاعر المنكوب على أشده وهو في طريق الهجرة الى اميركا .

لي في البحيرة مركب كالصرح ، لا يتقلب
هو في العشية مسرح هو في الضحية ملعب
هو في النهار حمامة هو في الليالي كوكب
جمع الزوارق حوله كالولد يجمعها الأب
فاذا رسا لاذت به واذا جرى تتعقب
واذا أشار تبعثرت أو أقبلت تترّتب
عبثا تغالب سيره الأمواج فهو الأغلب
يرتادها مذعورة منشورة تتوثب
زبدا تطير أمامه ووراءه تتألب
فكأنه قلم يمد من اللجين ويكتب
ان هلّ هللت الشواطىء ، والشغور ترحب
آنا يواصلها وآونة يصد ويهرب
والطير من وكناتها تهفو اليه وتصحب
فكأنها رسل الدساكر بالتحايا تخطب
وكأنه ملك أطل على رعايا ترقب

* * *

جئنا زرافات على الوحدان فينا نحدب
لاهين كالأطفال في حضن السفينة نلعب
وأمامنا البهجات تفتّن من تشاء وتخلب
حتّى اذا تم الطواف بنا وحان المغرب
نصب الخوان فلا ترى الا صحافا تنهب
وفمي ، أذوق الطيبات به ولا أستطيب
هيهات أن يستعذب اللذات من يتعذب
لم يبق في قيثارتي وتر يرف ويطرب
كل النجوم – وقد هوى نجمي – بعيني غيهب

* * *

اني أتيتك يا بحيرة مدنفا أتطيب
أنا ذلك الشبح المريب الواجف المتغرب
حيران أية محنة أشكو وأية أندب
لي مدمع في القلب سال ، عن العيون محجب
حذر الحسود اذا رأى من ذلّتي ما يرغب
ثقلت على نفسي الحياة ، وضاق فيها المذهب
لا مال ، لا آمال ، لا هدف يلوح فأطلب
يا مال ، كم قصر تشيد وكم ضمير تخرب
ان يؤسر الليث أزدرى ملك السباع الثعلب
ومتى الفريسة جندلت كثرت عليها الأعقب
واستنسر الصرصور واستشرى لديها الأرنب
فاذا عيالك أنشبوا ما ليس خصمك ينشب
من خاب سعيا في الحياة له الصداقة أخيب
ان جال تعتزل المجال وحين يضرب تضرب
ما اليأس الا أن تموت وأنت حي تدأب



المصطلحات العلمية في اللغة العربية

في القديم والحديث

تأليف : الأمير مصطفى الشهابي عرض وتعليق : الأستاذ أبو طالب زيان

جاءت هذه المحاضرات التي ألقاها الأمير مصطفى الشهابي على طلاب معهد الدراسات العربية منذ عشر سنين ، في طبعتها الثانية ، في موعدها من الارتقاب والانتظار ..

والواقع ، أن الأمير الشهابي . كان يعني بهذه البحوث ، جعل لغتنا الضادية المضرية ، تتسع لحاجات الحياة العصرية المختلفة ، فضلا عن الفائدة التي يجنيها العلماء والأساتذة الذين يضعون ألفاظا علمية وفنية عربية .

ولا يخفى . أن لبعض الأدباء والعلماء ، آراء مختلفة حول معالجة المصطلحات العلمية : اجمالا واسهابا . ودون ما شك . فالحياة اليومية تزداد اتساعا كل يوم . ويظهر فيها ما يتطلب مقابلتها بالاصطلاحات العلمية التي تقاس بها أو تفضل عليها . أو يجتمع لها — بقدر الامكان — الشبه القريب . حتى لا تنبو عن الذوق ، أو تشذ عن القاعدة .. لذلك كان الأمير الشهابي يعمل جاهدا منذ ثلاثين سنة على الجمع والتعريب في كثير من العلوم . وكأنه يعد العدة لسد هذه الثغرة التي بانت في اللغة . وفغرت فاها في هذه السنوات الأخيرة التي أصبحت هذه المصطلحات لازمة لها . وتابعا لا غنى عنه في كل اتجاه أو غرض ..

يتجه هذا البحث ، أو هذه المحاضرات في هذا الكتاب الى غرضين أساسيين : المصطلحات العلمية في اللغة العربية — في القديم والحديث ، وما أثير حولها من المؤتمرات وما اتخذ حيالها من التوصيات العقيمة التي ظلت قابعة حتى كشف عنها الأمير الشهابي في لحق هذا الكتاب ..!!

ولقد عرض المؤلف للغة واصطلاحها . واللغات وطوائفها ، واللغة العربية وأصلها ، ووسائل نمو اللغة . واشتقاقها ، والمجاز . والنحت . والتعريب . ونمو اللغة في الجاهلية . وأيام الراشدين والأمويين والعباسيين ، ووقف عند كل باب من هذه الأبواب وقفة قد تطول أو تقصر ، حسبما يقتضيه المقام من الالمام والاستقصاء . فاللغة العربية . قد انفصلت عن أخواتها الساميات في أزمنة سحيقة خلت قبل التاريخ ، وان كان للعرب قبل الاسلام . دول ومدنيات كما كان لهم في أطراف الشام والعراق امارات . وكما كان لقريش تجارة ورحلات وصلات بأمم مجاورة . لذلك كان اتصال العرب بهذه الأمم ، اتصال تطعيم بما اقتبسوه من الفارسية واليونانية والهندية واللاتينية وسائر اللغات السامية في أيام الراشدين والأمويين والعباسيين الذين دخلت على أيديهم الآلاف المؤلفة من مختلف الألفاظ ، وشتى المصطلحات في العلوم والآداب .

أما في عصور الانحطاط ، فقد وضعت أو استعملت ألفاظ مولدة عديدة ، لا وجود لها في المعجمات العربية . وان كان يغلب على بعضها أن لا يسيغه الذوق . أو يرذل فلا يجوز كتابته أو النطق به . مهما كانت الحاجة اليه . أو تداوله على ألسنة العوام ، أو هو مصطلح البلد الذي تعرض لغزوه . أو استكان لهجومه ، ولم يحاول الدفاع عن كينونته أو تراثه العلمي الصحيح ..

على أن معظم الذين نقلوا العلوم العقلية القديمة الى العربية في عصر النهضة العلمية كانوا من السريان ، وهم أصحاب المدارس التي كانت منتشرة في ديار ربيعة . واشتهر منها : مدرسة الرها . ومدرسة نصيبين ، فضلا عن الأديرة التي كانت تعلم العلوم الدينية والفلسفية :

« ومن الواضح أن هؤلاء النقلة ، لم يجمدوا في اداء مهمتهم ، بل ساروا على مذهب القائلين بضرورة الدوام على الاشتقاق والتعريب ، لكي تنمو اللغة ، وتتسع للعلوم الدخيلة في تلك الأيام . ولو اتبعوا هم وعلماء العرب من بعدهم رأى المتشددين من علماء اللغة . ووقفوا عند ما دوّن بالسماع عن عرب الجاهلية والمخضرمين ، لفقدت العربية ألوفا من أسماء الأعيان . ومن المصطلحات العلمية التي اشتملت عليها معجماتنا وكتبنا العلمية القديمة » .

ثم انتقل الأمير الشهابي الى العلوم الحديثة ومصطلحاتها العربية ، ومبلغ اتساع هذه العلوم فقال : « فاذا قايسنا بين بعض العلوم القديمة ، وبعض العلوم الحديثة نجد البون شاسعا . فقد عرف القدماء الفيزياء ، ولكنهم جهلوا بعض الدساتير الأساسية لهذا العلم ، كما جهلوا بحث الكهرباء وكذلك الكيمياء .

أما الطب . فمهما يكن لليونان والعرب فيه من فضل ، الا أنه لا يقاس بالطب الحديث في جميع مراحله : « ان الطبيب الذي يقتصر في المداواة على ما جاء في الكتب القديمة يسمى اليوم دجالا ، يعاقب بالسجن في شرائعنا وشرائع البلاد الأوروبية على السواء » . وكذلك في سائر العلوم والمعارف . فقد تبدلت كلها بعدما عرفت خصائصها ومعادنها وبحث تربتها وأغذيتها وأصنافها وأمراضها والحشرات التي تصيبها والميكروبات التي تعيش واياها على قدم المساواة ..

ولقد وقف الأمير الشهابي وقفة طويلة ، عند المعاجم اللغوية وقصورها أيام الخليل بن أحمد ومن جاء بعده ، في استيعاب كثير من مصطلحات علوم الطب . والطبيعة والكيمياء ، وغيرها . وعدّ هذا قصورا جاء بنتائج غير مرضية . تتمثل في هذا الابهام والتشويش في تعريف بعض الأعيان .. « والمقصرون هم علماء العصور الأخيرة الذين جمدوا . ولم يعملوا شيئا في اصلاح المعجمات القديمة ، وفي تصنيف معجمات تساير العلوم الحديثة وتتسع لها » .

ومع هذا يجب أن نذكر ، انه كانت هناك نهضة في نقل العلوم والمصطلحات العلمية في مصر والشام . غير أن جهد الأفراد فاق جهد الجماعات اجمالا في وضع هذه المصطلحات . حتى اذا أنشىء مجمع مصر للغة العربية . بذّ الجميع . لا بالكمية . بل بالكيفية أي بدقة المصطلحات التي وضعها أو حققها .

والمتتبع لوضع هذه المصطلحات ، يرى انه ألفت في مصر في أواخر القرن الماضي . مجامع أو جمعيات . هدفها وضع مصطلحات عربية في العلوم والمخترعات الحديثة المشهورة . وان كانت لم تعمر الا أنها كانت نواة لما عليه النهضة المصطلحية اليوم .

وان جاز لنا أن ننسى . فلن ننسى . المجمع العلمي العراقي . والمجمع العلمي العربي بدمشق ، اللذين قاما بدور كبير في العناية بسلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشئون الحياة .

ولقد أرخ الأمير مصطفى الشهابي في هذا الكتاب لهذه المجامع اللغوية ، والجمعيات التي انبثقت عنها . أو تفرعت بغية خدمة اللغة ، والحفاظ على سلامتها ، أو السير في ركاب عزّها الصاعد . ولم يفته أن يضرب أمثلة لما قام به مجمع مصر ، وما قامت به المجامع في البلاد العربية الأخرى ..

وليس من شك ، في أن اثبات رأى البحاثة الأمير في نقل الألفاظ العلمية الى اللغة العربية ، ومساق الأمثلة الكثيرة ، لفيه الجلاء كل الجلاء للطرق التي يجدر بنا أن نسلكها في الاسماء العربية للكثير من أسماء الأعيان التي ظهرت في هذه الحقبة الأخيرة من حياة العلوم والفنون ، وان كان الباحث ، لم يطلق الحبل على الغارب في أمر هذا النقل . ووضع المصطلحات . فقد ذكر شروطا يلتزمها الناقل ، وصفات يتحلى بها كل من يقدم على هذا العمل الخطير .

وللأمير مصطفى الشهابي رأي في كتابة الحروف اليونانية واللاتينية بحروف عربية .. « فكثير من النقلة يعربون أسماء الأعلام عن اللغات الأوروبية الكبرى ، فيكتبونها كما تلفظ في تلك اللغات ، من دون الانتباه الى أنها قد تكون أسماء أعلام يونانية أو لاتينية ، وأن النطق بها في هاتين اللغتين ، قد يكون مختلفا عن النطق بها في اللغات الأوروبية. ولكتابة الأعلام والمعربات اليونانية واللاتينية قواعد كان نقلة العلوم في صدر الدولة العباسية يتبعونها في تعريب العلوم القديمة . فمن المفيد أن نتبعها كلها أو جلّها فيما نعرب من أسماء أعلام ومن ألفاظ علمية أصولها يونانية أو لاتينية » .

وللأمير رأي كذلك في توحيد هذه المصطلحات العلمية ، لأنه يرى في اختلاف هذه المصطلحات. داء من أدواء لغتنا الضادية . ينمو ويستشري كلما اتسعت الثقافة في البلاد العربية ، وكثر فيها عدد نقلة العلوم الحديثة ، وعدد المؤلفين في تلك العلوم ..

ولعل أهم سبب من أسباب اختلاف المصطلحات . انما هو فقد الاتصال بين النقلة والمؤلفين في مختلف أقطارنا العربية . ففي كل قطر توضع مصطلحات جديدة لا يدري علماء الأقطار الأخرى عنها شيئا ، وتكاد الصلات تكون مقطوعة بين أساتيذ الجامعات وكلياتها في مصر والعراق والشام ، واذا تهادوا مؤلفاتهم تعصّب كل أستاذ للمصطلحات التي وضعها أو ألف استعمالها ، وربما راح يزري بمصطلحات زملائه ، وربما تطاحن الأساتيذ في الصحف بهوادة أو بلا هوادة . حتى في البلد الواحد ..

وهو يرى :

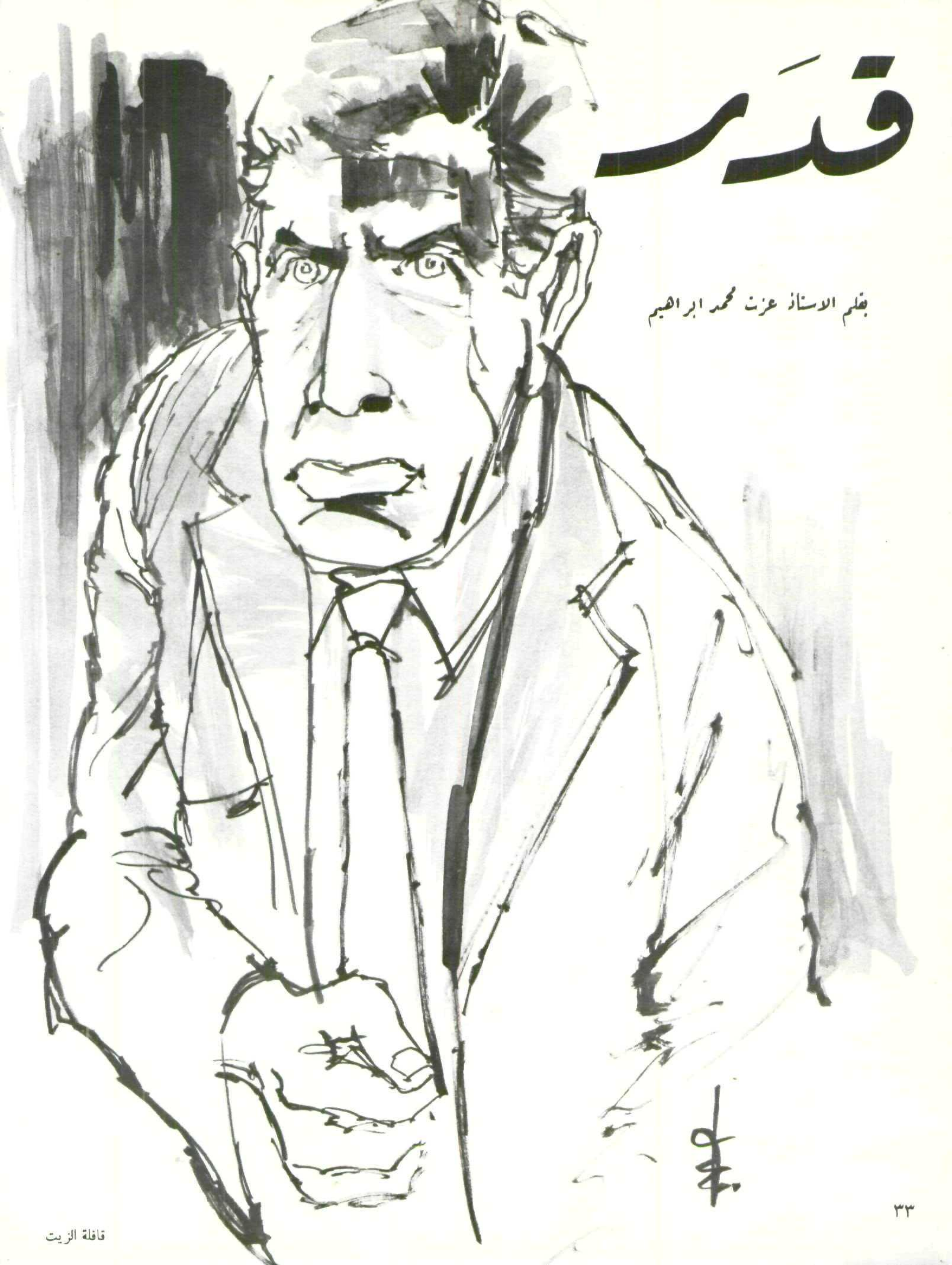
١ — أن يكون في الأقطار العربية معجم فرنسي عربي ، ومعجم انجليزي عربي للمصطلحات العلمية والفنية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة ، يشتملان على أصح الألفاظ العربية أو أرجحها ، على أن تعرف ألفاظهما بالعربية تعريفا علميا مختصرا دقيقا يناسب حجم كل من المعجمين .

٢ — أن تلتزم الحكومات العربية استعمال ألفاظ المعجمين العربية دون غيرها ، في اداراتها ومحاكمها ومدارسها الرسمية والأهلية .

٣ — أن يتم وضع المعجمين خلال بضع سنوات .

ولست مغاليا اذا قلت ، ان هذه الاضافات التي أثبتها الأمير الشهابي في آخر كتابه ، كانت جديرة بأن يفرد لها كتاب ، تضاف اليه اضافات أخرى من المصطلحات التي نبتت في الحقبة الأخيرة ، وثبتت صلاحيتها ، أو لم يثبت لها وجود في عالم اللغة ، أو دنيا العلوم .. لكن الأمير الشهابي أبى الا أن تكون هذه الاضافات لحقا في آخر هذا الكتاب ، وان احتوت هذه الاضافات على قرارات ، أو تسجيل لجلسات . كان أقمن أن تسلك في عداد المضابط أو السجلات . لكن الباحث الجليل ، لم تمر عليه هذه الملاحظة ، فضمن اضافاته كثيرا مما سجل من المصطلحات في دورات المجمع اللغوي بمصر والمجمعين الكبيرين في العراق ودمشق ، وأثبت دون ما شك ، قدرته على استيعاب ألفاظ اللغة ، ومقابلتها باللغات الأجنبية ، ونقده لكثير مما ورد من الألفاظ لا سيما الزراعية التي برز فيها هو وحده ، واختص بها دون سواه ، بحثا وتشريعا ومقابلة ، وغوصا وراء كثير من الألفاظ التي ركنت الى التماع . فلم تجد الا هذا العالم الثبت يمسح عنها غبار السنين .

ولا أخالني بحاجة الى الاشادة بهذا المجهود الضخم الذي بذله الأمير مصطفى الشهابي في اخراج هذا الكتاب الذي رجع في التثبت من مادته وتأليفه الى عشرين مرجعا ونيّف ، هي بعض من هذا الجهاد الصامت الذي يبتغي به صاحبه وجه الله ، وخدمة الضاد في جميع أرجاء الأرض .



قدر

بقلم الاستاذ عزت محمد ابراهيم

انه في ريعان الشباب .. ويشغل مركزا ممتازا ، ويصيب من عمله المال الوفير ، وما كان وجهه يعرف غير الابتسامة التي لا تكاد تفارقه .

وفجأة انقلب كل شيء في حياته رأسا على عقب . أحس بوعكة خفيفة ، لم يكن يظن فيها خطورة ما ، ومع ذلك وكدأبه دائما ، اتجه الى طبيب يلتمس لنفسه علاجا لما ألمّ به . ولم يكن يقدر انها أكثر من عارض لا يلبث أن يزول . ولكن الطبيب حمل اليه أسوأ نبأ سمعه في حياته ، لقد أخبره في بساطة وكأنه يلقي سلاما على أحد معارفه بأنه مصاب بمرض القلب ، وان عليه أن يمتنع عن التدخين وأن يأكل أكلا معينا ، وأن لا يرهق نفسه كثيرا ، وأن يواظب على تناول الدواء ، وأن وأن .. والا ...

وامتثل لأوامر الطبيب ، فلفافة التبغ التي كان يجد في تدخينها متعة أصبح يرى فيها نذير الموت ، وتثور أعصابه اذا رأى انسانا يمسك بها ولا يلبث أن يفرّ من أمامه ، وأصبحت جيوبه ملأى بالأدوية ، وأصبح في وسعه أن ينسى أي شيء الا ميعاد تناوله لها . وكان من المؤكد بعد ذلك أن تسير حياته على ما يرام وان يشفى بعد قليل أو كثير من مرض قلبه . الا أن هذا الخوف الذي ركبه من جراء مرضه قد نتج عنه مرض آخر ، هو الوهم الذي ملك نفسه ، وسيطر على كل جوارحه .

فهو في كل لحظة يشعر بأنه سيموت فجأة . وعندما يجلس الى مكتبه يتصور أن الدم قد جمد في عروقه ، وان قلبه قد رفض في عناد الاستمرار في اداء مهمته ! ويسير في الشارع فيتخيل أنه قد وقع من طوله جثة هامدة . ويركب سيارته فيتراءى أمامه شبح الموت ، يرتسم أمام ناظريه في صورة ميت قابض على عجلة القيادة .

وحرص منذ ذلك الوقت على الا يكون بمفرده ، أما مع أهل بيته ، أو مع أصدقائه ، أو في المكتب بين زملائه ، فلربما داهمته نوبة قلبية يستطيع واحد من هؤلاء أن يسعفه منها فلا يضيع في شربة ماء !

° ° °

وكان عليه يوما أن يسافر من مدينة الى مدينة أخرى لا تبعد كثيرا عنها .

ولكن ربما داهمته نوبة في الطريق الخالي ، ولا من منقذ ، فعليه اذن أن يبحث عن رفيق لسفره . أما زوجه فقد تعللت بتوعك مزاجها ، وأما أصدقاؤه فكأنما انشقت الأرض عنهم فابتلعتهم جميعا .

وفكر في أن يتخذ القطار وسيلة لسفره بدلا من سيارته ، ولكن منظر الزحام في أي مكان يشعره بالانقباض ، واستبعد فكرة القطار فورا . وتأرجح بين ضرورة السفر ، وبين وهمه الكبير المسيطر عليه دائما ، ولم يجد بدا من التفكير في حيلة يخرج بها من مأزقه . وومضت في ذهنه فكرة لم يتردد في تنفيذها ، واتجه فورا الى موقف سيارات الأجرة واقترب من أحد المنادين داسا في يده قطعة نقود وهو يقول :

— راكب واحد ..

ونظر اليه المنادي في استغراب ، وهو حائر بين منظره الأنيق ، وقطعة النقود التي تزيد على نصف أجرة السفر ، وراودته أفكار لم يلبث ان طردها وهو يقول في نفسه :

وما شأني أنا ، لله في خلقه شؤون .

° ° °

وفي لحظة كان بجانبه راكب في نهاية عمره .

— لا بأس ، المهم ان يؤنس وحدتي ، وان يسعفني اذا أصابني شر . وانطلقت السيارة بهما مسرعة . وكان على السائق أن يفسر له سر انطلاقه براكب واحد بدلا من خمسة ركاب كالعادة ، فقال في تلعثم وخجل — الحقيقة انني لا أعمل سائق تاكسي ، فالسيارة ملاكي كما ترى ولكن .

ولكن ماذا ؟

ماذا أقول له ؟

واستجمع أطراف شجاعته قائلا :

ولكنني أخاف السير بمفردي .

— تخاف ؟ مم تخاف ونحن في رابعة النهار ؟

وضحك وهو يضيف قوله :

— والعفاريت لا تطلع في عز الظهر .

آه العفاريت لا تطلع في عز الظهر ، ولكنها تطلع لي دائما : في عز الظهر ، أو في وقدة الشمس ، أو في دامس الظلام ، وحتى في الأحلام التي لم تعد تتراءى لي سعيدة أبدا .

صبرا ستعرف كل شيء .

— الأمر يا سيدي انني مريض .

— وأي شيء في ذلك ، كثيرون مرضى ، ولكنهم لا يخافونَ مثلما تخاف ..

— عندك حق .. كثيرون مرضى ، ولا يخافون مثلما أخاف ، لأنني لست ككل المرضى . فمرضي يا صاحبي ليس كمرضهم ، انني عرضة للموت في أية لحظة ، قد أموت الآن وأنا أحدثك ، وقد أموت ويدي ممسكة بعجلة القيادة ، وقد أموت وأنا أموت .. هل فهمت ؟

ولم يفهم صاحبه شيئا ، وانما أصابه رعب شديد ، واستقر في نفسه انه قد وقع حتما بين براثن مجنون قد هرب لتوه من مستشفى المجانين .

وساد كليهما صمت عميق ، وسرح كل منهما في وادي أفكاره . أما سائق السيارة فقد جعل يحدث نفسه قائلا : — هذا الذي بجانبي قد شارف على نهاية عمره ، ومع ذلك فهو لا يخشى الموت كما أخشاه ، وأغلب الظن أنه سيموت كما يموت المئات والألوف بين أولادهم أو في فراش موتهم . أما أنا فقد كتب الله عليَّ أن أفكر في الموت في كل لحظة .. أي أن تصبح حياتي موتا .

وقطع الصمت بقوله :

— هل ترى هذه الكأس ..؟؟

ورد عليه رفيقه في رعب .

— نعم أراها ، انها كأس ماء لا أكثر ولا أقل .

— لا أهمية لذلك ، المهم أن تعرف وتتأكد أنها كأس ماء .

وصمت قليلا ثم قال :

— وهل ترى هذه الزجاجة ؟

— نعم أراها .. زجاجة بها ماء ، أو سائل آخر لا أدري ، وأي انسان يعرف ذلك .

— لا يهمني أي انسان تعنيه ، المهم أن تعرف أنت انها زجاجة ، وان بها ماء وليس سائلا آخر . وبقي أن تعرف هذه الأقراص التي في الأنبوبة ، وتعرف كيف يوضع قرص منها في كأس ماء .. هذا هو كل ما أريده منك اذا رأيتني في حالة اغماء أو شبه اغماء ، فأنا يا صاحبي مريض بالقلب ، وهذا دوائي !. وبدا على صاحبه أنه اقتنع ، فثاب الى رشده ، واطمأنت نفسه بعض الشيء ، ثم عاد كلاهما الى هدوئه ، ومال الراكب برأسه على زجاج النافذة كأنه يلتمس الراحة من هذه المزعجات المتتالية ، فبدأ كمن راح في سبات . وبعد قليل ناداه صاحب السيارة قائلا :

— لقد وصلنا .

ولكن صاحبه لم يحر جوابا .

وكررها ثانية وثالثة فلم يظفر برد ، وأمسك كتفه بيده يحركه .. يريد أن يوقظه مما ظنه سباتا ، ولكنه لم يبد حراكا . لقد مات ..

الرفيق ، وليس صاحب السيارة .

الموسيقى والغناء عند العرب

بقلم الاستاذ محمد مراد السباعي

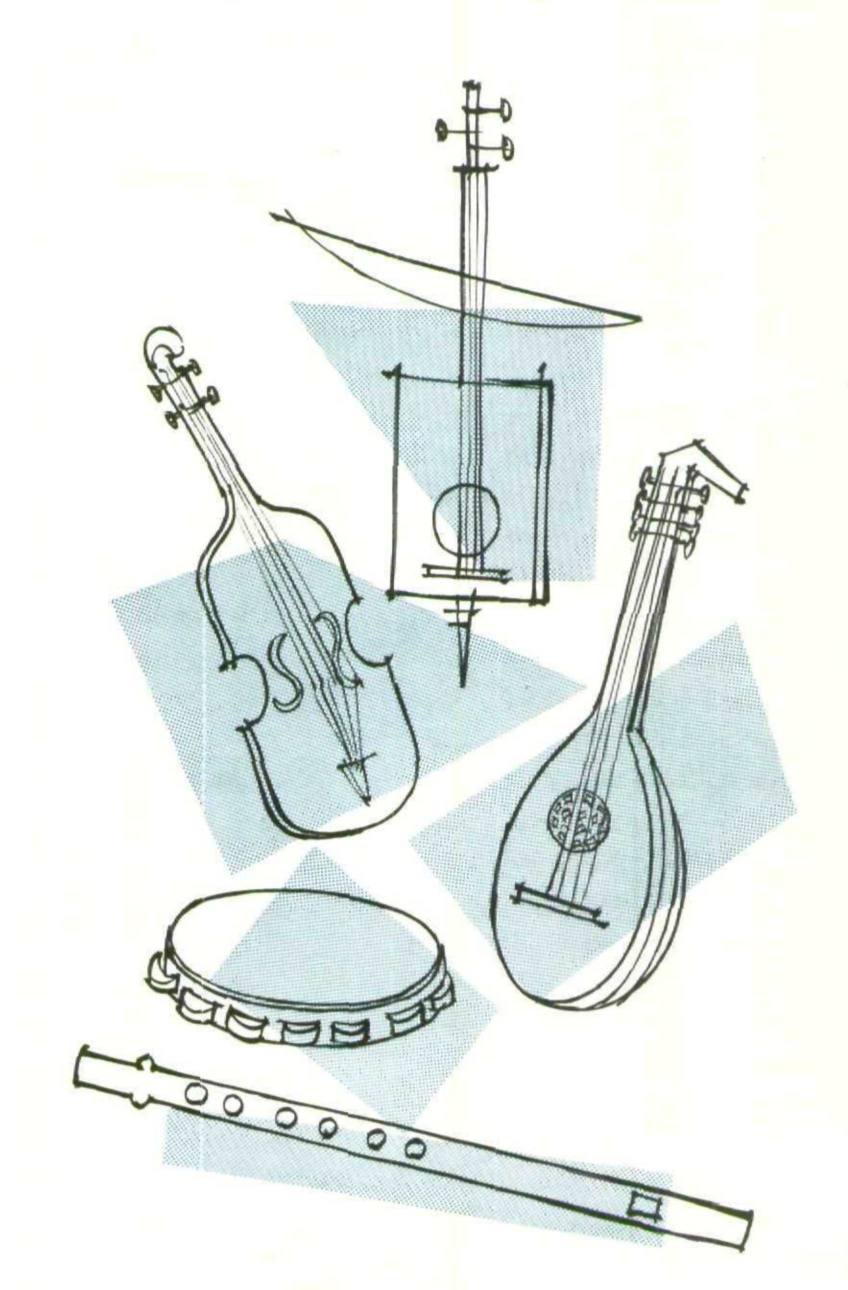
الموسيقى من أجمل الفنون وأكثرها انتشارا في ربوع العالم المتحضر والمتخلف والبدائي . يتذوقها ويطرب لأنغامها كل حي . أثرها في الحروب كأثرها في السلم ، تشحذ الهمم وترفع الروح المعنوية ، وتسري عن أصحابها ومستمعيها . لحنها الحزين كلحنها الطروب يشد الأذهان ويشنف الآذان . والموسيقى في الحق لغة عالمية . وسيلتها السمع كالاشارات فهي لغة عالمية أيضا لكن وسيلتها الحركة والايماء .

ولو رجعنا عبر التاريخ لألفينا أن الموسيقى أقدم ألوان الفنون الجميلة . فهي أقدم من الرسم والنقش والزخرفة والشعر وما الى ذلك .

والآثار المصرية القديمة التي يرجع تاريخها الى ما قبل الميلاد بأجيال وأجيال عامرة جدران هياكلها ومعابدها برسوم لآلات موسيقية متنوعة . وآثار الآشوريين ليست أقل منها امتلاء برسوم ما كانوا يستعملونه من الآلات الموسيقية . والآلات الموسيقية كثيرة العدد مختلفة الأحجام والأشكال باختلاف الزمان والمكان . منها : الوتري ... كالعود والقانون والكمان والرباب والصفيرى ... أي مايكون الفم أداته .. كالمزمار والناي والصّدمي ... أي مايعمل بالضرب والخشخشة كالطبول والدّفوف والصّنوج .

وانتشر عند العرب بعض أنواع الآلات الموسيقية الخفيفة كالمزمار والطبل والنفير . وكانت ظروف الحياة وأسباب التنقل بين النجوع وحول الآبار حيث الرعي والسّقي ... وكثرة الاسفار وراء التجارة مما جعل العرب يميلون الى استعمال تلك الآلات حتى اذا ما اختلطوا بالفرس أخذوا عنهم استعمال « العود والقانون » وهاموا بهما وشاع استعمالهما حتى نظم شعراؤهم في صدر الاسلام قصائد كثيرة عن الغناء والعود وغيره من آلات الموسيقى وأدوات الطرب .

واشتغل بفن الموسيقى والكتابة عنها الكثير من العرب . منهم « أبو نصر الفارابي » وهو فضلا عن اتقانه التأليف الموسيقي فقد برع في الاداء براعة تحكيها مجالس سيف الدولة في دمشق . فمما يحكى عنه . انه حضر يوما في مجلس سيف الدولة وأراد وقتئذ اكرامه باحضار القيان وكل عازف ماهر . فما كان من الفارابي الا أن خطّأ كل عازف وعاب عليه تحريكه لآلته الموسيقية . فقال له سيف الدولة : هل تحسن هذه الصنعة ؟ فقال الفارابي : نعم . وأخرج من وسطه خريطة فتحها وأخرج



منها عيدانا ركبها ثم لعب بها فضحك كل من كان في المجلس واهتز طربا ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها نغما آخر فبكى الجميع . ثم فكها وغير تركيبها ثانية وضرب بها ضربا آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب . وتركهم نياماوخرج !!

هذا وللموسيقى دور ايجابي في حل كثير من العقد النفسية واعلاء الغرائز والسمو بانفعالاتها وتهذيبها . وقد لجأ اليها علماء النفس كوسيلة من وسائل العلاج النفسي . كما نادى بها علماء الاجتماع لاشغال أوقات الفراغ بطريقة محببة مقبولة . والقادة العسكريون تنبهوا الى استعمال الموسيقى لتشجيع الجنود ، وحضهم على تحمل ما يعترضهم من مشاق وجهد ، ورفع روحهم المعنوية فضلا عن لمّ شملهم ، وتوحيد صفوفهم وجمعهم وراء حامل العلم . وفي هذا المقام يحضرني ذكر رواية عن الاسكندر الأكبر . يروى أن الاسكندر كان اذا تغير مزاجه نتيجة حادث مزعج أو أصيب بكسل ذهني ، دعا تلميذا لارسطاليس وكان عازفا ماهرا على العود ، فيضرب به فيزول عنه ذلك العارض .

ومن بين من غنى وعزف الموسيقى من الحكماء: ارسططاليس ، وبقراط ، وجالينوس ، وفيثاغورث ، ومن خلفاء بني أمية : يزيد بن عبد الملك ، وأخوه سليمان . ومن بني العباس : ابراهيم بن المهدي . وأبو عيسى بن الرشيد ، وعبد الله بن الأمين ، وعبد الله المعتصم والمتوكل وولده المؤيد .

هذه عجالة عن الموسيقى ، أثرها ، وآلاتها ، والحافز على استعمالها ، وما قيل عنها .

أما الغناء ... فهو قديم عند الفرس والروم . ولم يعرف منه عند العرب الأقدمين الا الحداء والنشيد . وأول من نقل الغناء العجمي الى العربي من أهل مكة « سعيد بن مسجح » ومن أهل المدينة « سائب خاثر » . وأول من صنع الهزج « طويس » المكنى « أبا عبد الرحيم » وأول ما غنى به :

قد براني الشوق حتى
كدت من وجدي أذوب

وأول من ضرب الدف عند ظهور الاسلام بالمدينة المنورة فتيات بني النجار حينما استقبلن رسول الله عند هجرته من مكة وهن ينشدن :

نحن جوار من بني النجار
يا حبذا محمد من جار

وأول غناء تغنّت به النساء والصبيان في المدينة عند قدوم الرسول هو :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

وأول من تغنى من العرب الحجازية : « خزيمة ابن سعد » . واشتهر في هذا الميدان « سلام الحادي » ، و « أنجشه الحادي » ، و « ابراهيم الموصلي » وابنه « اسحق » .

ولقد وصل المغنون والموسيقيون منزلة مقربة الى أعين واسماع الخلفاء ، والولاة ، والملوك ، والحكماء . حتى ان بعضهم لم يخل له مجلس منهم . ولم يقتصر ذلك الذيوع في عهد دون عهد . وأصبحوا بفنهم ومهاراتهم وما حباهم الله من أصوات شجيّة وأنامل فنيّة – ثروة وطنية فأغدق عليهم الملوك الهبات والعطايا ونظم فيهم الشعراء القصائد الطوال .

ومن أجمل ما قيل في مدح الغناء والمغنين قول الناجم في مدح مغنية :

طفقت تغنينا فخلنا أنها
لسرورنا بغنائها تعنينا

وقال عليّ بن يوسف المنجم :

غنّت فأخفت صوتها في عودها
فكأنما الصوتان صوت العود
غيداء تأمر عودها فيطيعها
أبدا ، ويتبعها اتباع ودود
أندى من النوّار صبحا صوتها
وأرق من نشر السنا المعهود

هذا ورغم ما امتاز به هؤلاء الفنانون من حب وتقرب ومديح لم يسلم بعضهم من الهجاء .

قال أحدهم :

مغن بارد النغمة
مختل اليدين
ما رآه أحد في
دار قوم مرتين
صوته أقطع للذات
من سطوة بين

وروى عن ابراهيم الموصلي انه دخل عليه شيخ ذو هيئة تفوح منه روائح الطيب وجلس وأخذ في أحاديث الناس وأيام العرب وأشعارهم . ولم يدر كيف دخل ولماذا .. وظنه في حاجة الى طعام أو شراب .. فقال ! هل لك في طعام ؟.. قال لا حاجة لي فيه ... ثم أردف قائلا يا أبا اسحق : هل لك أن تغنّينا فنسمع من صنعتك ما فقت به عند الخاص والعام ؟ فأخذت العود ثم ضربت وغنّيت . فقال أحسنت يا ابراهيم . وهل لك أن تزيد فنكافئك ؟ فقال ابراهيم الموصلي : تعجبت من قوله .. كيف وبم يكافئني ! ! ثم أخذت العود وغنّيت بتحفظ .. فما كان من هذا الشيخ الا ان همّ قائلا أتأذن لي في الغناء حتى أكافئك .. فقلت شأنك . فأمسك بالعود وجسّه حتى خلت أن العود ينطق بلسان عربي فصيح في يده . واندفع يغني .

ولي كبد مقروحة من يبيعني
بها كبدا ليست بذات قروح
أباها عليّ الناس لا يشترونها
ومن يشتري ذا علّة بصحيح ؟

وقال ابراهيم : لقد ظننت أن كل ما في البيت يغني معه من حسن صوته حتى خلت أني أسمع أعضائي وثيابي تجاوبه . وبقيت مبهوتا لا استطيع الكلام ولا الحركة . فلما رآني الشيخ كذلك أخذ العود ثانية واندفع يغني !

ألا يا حمامات اللّوى عدن عودة
فاني الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتنني
وكدت بأسراري لهن أبين
فلم تر عيني مثلهن حمائما
بكين ولم تدمع لهن عيون

وكاد عقل ابراهيم يذهب طربا ثم غنى الشيخ :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجدا على وجد
أإن هتفت ورقاء من رونق الضحى
على غصن غض النبات من الرّند
بكيت كما يبكي الحزين صبابة
وذبت من الوجد المبرح والجهد
وقد زعموا أن المحب اذا نأى
يملّ وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد

وفي نهاية المطاف لم تقتصر الموسيقى والغناء على شفاء نفس الانسان ومتعته وطربه وسروره وبهجته . ولكنهما تعديا حدود الانسان الى الحيوان .

والصوت الجميل صدحا أو ترنيما أو ترتيلا لغة عالمية في كل مكان ولكل زمان .

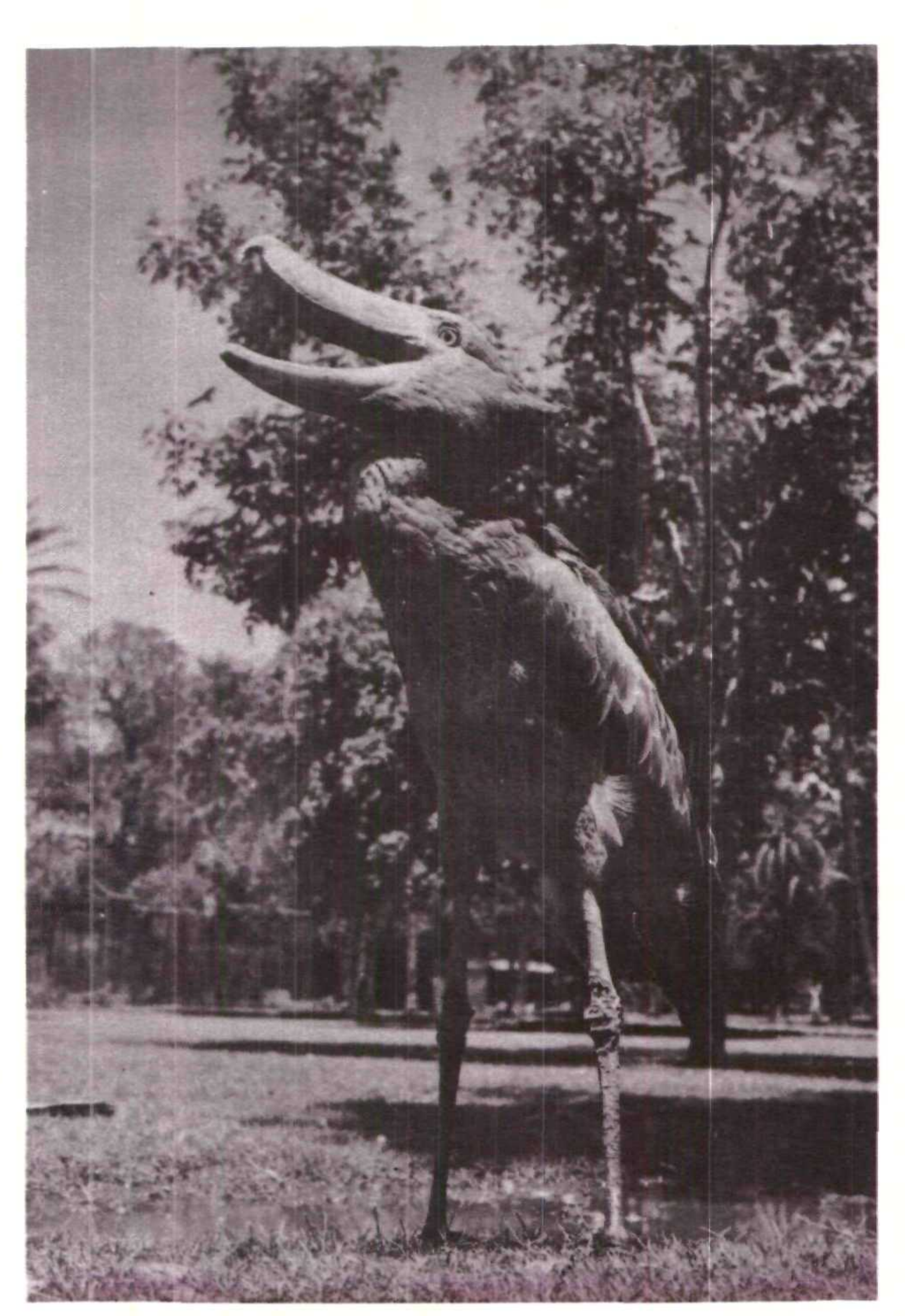
السودان بلاد الصيد

بقلم الاستاذ محمد صالح ابراهيم

الحديث عن الصيد يحلو للنفس ويجلو عنها الفضول . وفي مطاردة الحيوان النافر الهياب متعة ورياضة للصائد . ولكن من الحيوان ما يتحدى القناص ويشكل خطرا عليه فتنقلب الرياضة ومتعتها الى معركة حامية الوطيس ، معركة حياة أو موت ، وخاصة اذا آزر الحيوان أخوان له فيصبح القتال ضاريا بين طرفين غير متكافئين . ولا ينجو القناص الا بأعجوبة حين تدركه رحمة من ربه . وفي هذه الحالة يرتفع الحديث عن الصيد فوق مستوى كل الأحاديث . ومعظم الصيد في السودان من هذا النوع الخطر الذي لا يقدم عليه الا ذوو الخبرة من هواة الصيد الذين لا تطيش سهامهم ولا يترددون في اقتحام العرين على ساكنيه .

ان هذه البقعة المترامية في قلب افريقيا والتي تمتد ١٢٥٠ ميلا من حدودها في الشمال الى حدودها في الجنوب ، و ٩٥٠ ميلا بين حدودها الشرقية والغربية ، يتباين في انحائها المناخ والطبيعة والبيئة والجنس . هذه البقعة التي تطل عليها ثماني دول افريقية من حولها ، هي أرض السودان بلاد الصيد ، الأرض التي جذبت الرواد ومحبي الصيد منذ القدم فشدوا الى مجاهلها الرحال وتوغلوا في بيدائها وآجامها ، وكشفوا النقاب عن ثروتها الحيوانية الضخمة واذاعوها للعالم في صحفهم وكتبهم ، فأحرز السودان شهرة عالمية في هذا المجال ، وأصبح معقلا فريدا للصيد في افريقيا وأضحى محط الأنظار ومقصد العلماء ومزار الأمراء والعظماء من هواة القنص .

لقد ساعد على انتشار الصيد في السودان عوامل ملائمة . فهذه المساحة الشاسعة لا يتجاوز عدد سكانها اثني عشر مليونا . ولذلك فان أجزاء شاسعة من الأرض غير مأهولة أصبحت مرتعا وموطنا للحيوان . فمن صحارى جرداء هامدة ، الى كثبان حقاف هيم ، الى سهول غضة بالعشب والجميم ، الى سلسلة من الجبال الشاهقة المنساقة ، الى غابات غيناء وارفة الى غياض ومستنقعات يتعذر اختراقها ، الى أنهر فياضة وعيون نضاحة الى غير ذلك من الظواهر الطبيعية المختلفة . أما العوامل الصناعية التي ساعدت على انتشار الصيد فكثيرة منها الوقاية والتنظيم . والثروة الحيوانية هي العماد الثاني بعد الثروة الزراعية لاقتصاديات البلاد . فكان على الدولة والحال هذه أن تركز اهتمامها على صيانة هذه الثروة وفرض الرقابة عليها وحمايتها من الانقراض ، وخاصة حماية



اللقلق «أبو مركوب» من الطيور النادرة الغالية الثمن ، اذ يبلغ ثمن الواحد منها ثلاثمائة جنيه أحيانا .

بعض الحيوانات البرية التي انقرضت في معظم بلاد العالم مثل الزرافة ، أو التي لا يوجد مثيل لها في أي قطر آخر مثل وحيد القرن الأبيض وغزال النيل . لذا فقد انشأت الدولة قسما خاصا للوقاية والرقابة ، وسنت قانونا يحرم صيد بعض الحيوانات أو الصيد في أماكن خاصة أو في أوقات معينة أو مبينة . وهذا الحظر يبدو مزعجا لبعض الناس مثل سكان الجنوب الذين يعتمدون في غذائهم على الصيد . والواقع أن القانون لا يحرم أحدا حق الصيد بل ان الدولة تشجع الاقبال عليه شريطة ألا يمارس بالطرق العشوائية التي دأب عليها الاهالي في الماضي والتي تنطوي على الجهل والاسراف . فالصيد في السودان يعتبر في المكان الأول ميراثا قديما نفيسا ينبغي المحافظة عليه فلا يؤذن به لأحد ما لم يحصل على تصريح من السلطات المختصة . وتمنح التصاريح بسهولة للحصول على ما يكفي لغذاء من يعتمدون في غذائهم على الصيد .

أما الأسباب التي من أجلها سن قانون الصيد فترجع الى عام ١٩٣٣ ميلادية حين دعت الحكومة البريطانية جميع الحكومات الافريقية الى مؤتمر عام لرعاية الحيوان والنبات يعقد في لندن . وفي هذا المؤتمر وجه النظر الى أن بعض فصائل من الحيوان آخذ في الانقراض السريع . وأوصى المؤتمر باتخاذ التدابير لحماية هذه الفصائل والعمل على تنميتها عن طريق التعاون الدولي . وبناء على ذلك اضطلع السودان بمسؤولية خاصة ازاء الخرتيت الأبيض وغزال النيل واللقلق المسمى في السودان بأبي مركوب . فهذه الحيوانات لا يوجد نوعها الا في السودان .

ولكي تستطيع الدول النهوض بمسؤوليتها الدولية هذه ، وضعت قانونا لحماية الحيوان من جشع الانسان وضمنته أيضا حماية الانسان من خطر الحيوان ، وتنظيم وسائل الصيد للمواطنين والنزلاء . وتطبيقا لهذا القانون أقامت حظائر ومناطق محجورة لحفظ الفصائل النفيسة . والحظائر المذكورة عبارة عن مستودعات تأوي اليها الفصائل النادرة من الحيوانات التي حددها القانون ، ولا يمنح تصريح بصيدها الا للأغراض العلمية الهامة ، وهي :

الذئب آرد ، وهو حيوان غريب عديم الضرر ، يشبه الضبع المخطط الا أن أذنيه أطول وفمه أكثر دقة ، وأسنانه ضعيفة جدا ، ويعيش في جحر تحت الأرض بالقرب من حدود يوغنده وحول مدينة سواكن .

حمار الوادي ، يعيش على ساحل البحر الأحمر في المنطقة الممتدة من جنوب جواكن الى نهر عطبرة . وهو أسمر اللون وضارب الى الصفرة ، أبيض الفم والبطن ، ذو حلقة بيضاء حول عينه ، سريع العدو رشيق الحركة .

اللقلق أبو منجل ، ذو الرأس الأصلع : وهو طائر لامع الريش كان قد قدسه قدماء المصريين واتخذوه رمزا وشعارا لدولتهم .

اللقلق أبو مركوب : طائر أرجواني اللون مع زرقة لامعة ، يبلغ طوله ثلاثة أقدام ، ذو منقار طويل معقوف الطرف ، بطيء الحركة وقلما يجنح للطيران ، قوي الأعصاب يقف يومه كله على وضع واحد ، يعيش في الغياض ببحر الغزال وأعالي النيل . وهو أغلى طائر اذ يبلغ ثمنه ثلاثمائة جنيه .

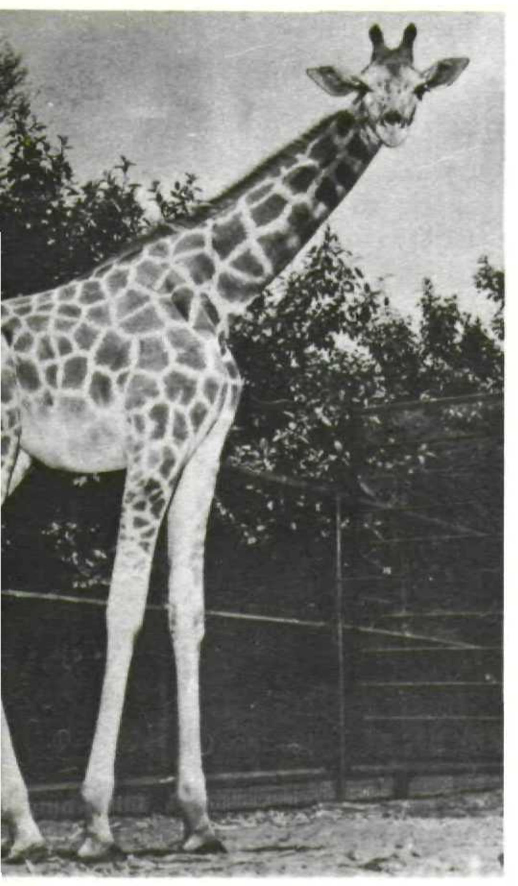
الخرتيت أو وحيد القرن : وهو من الفصيلة الخرطومية ، ضخم الجسم ، قصير القوام ، غليظ الجلد ، كبير الرأس ، صغير العينين والأذنين ، وهو أكبر الحيوانات البرية في أفريقيا بعد الفيل . وسمي وحيد القرن نسبة لأنه يتميز بقرن واحد فوق رأسه يبلغ طوله عشرين بوصة أو أكثر ، وهو عبارة عن خصلة من شعر تصلب واندمج بعضه مع بعض فهو لا ينثلم مثل العظم أو الابنوس . والخرتيت يعيش في غابات الجنوب ويبلغ طوله ستة أقدام ووزنه ثلاثة أطنان .. وهو نوعان أبيض وأسود وهو أغلى حيوان اذ يبلغ ثمنه أحد عشر ألفا من الجنيهات .

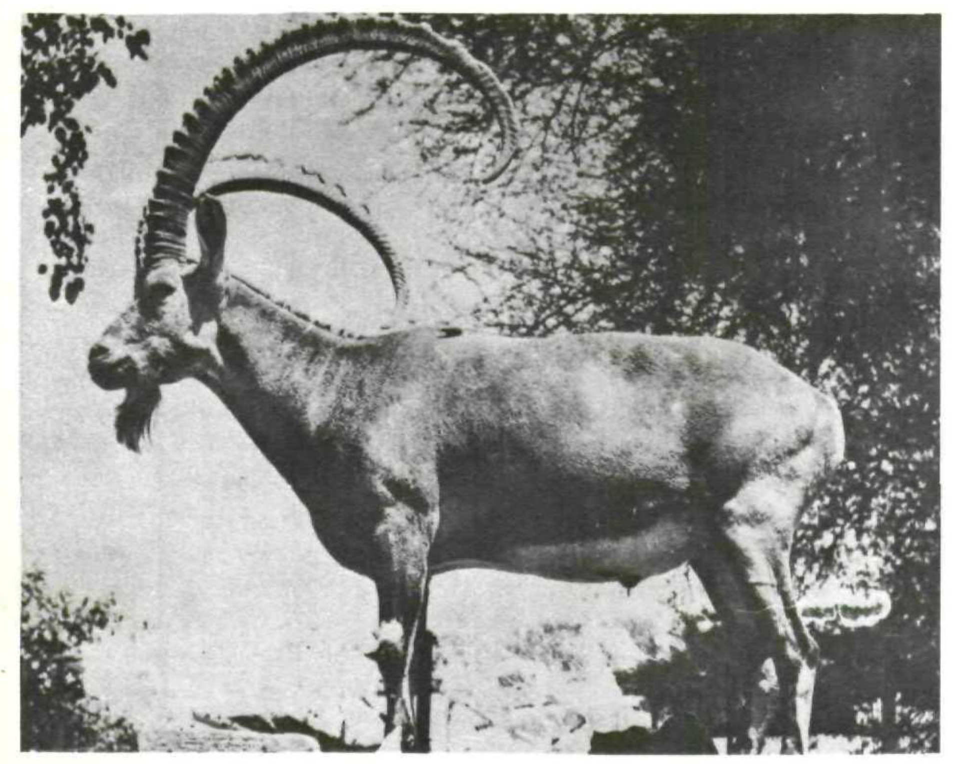
والفيل الذي يبلغ وزن سنه خمسة كيلوغرامات تقريبا .

تلك هي الفصائل الست التي تحتويها الحظائر العامة ولا يجوز لغير موظفي الحكومة القائمين بواجبات وظائفهم أن يدخلوا هذه الحظائر بغير اذن من وزير الثروة الحيوانية .

ولنستعرض الآن بعض الطرق البدائية للصيد التي كانت تهدد حياة الحيوان بالفناء والتي حرمها القانون تحريما باتا .

فالعرب الرحل يمارسون منذ مئات السنين عادة صيد الفيل والزرافة وغيرهما بمطاردة الحيوان على صهوات الخيل حتى تخور قواه . ثم يثخنوه بجراح سيوفهم ورماحهم . وكان صيد الزرافة بهذه الطريقة أسهل وأكثر عددا من صيد الفيل . وكاد هذا النوع من


الزرافة .. من الحيوانات المألوفة في كثير من حدائق الحيوان


وعل «عيشو» وهو مشهور بقرنيه المعقوفين .

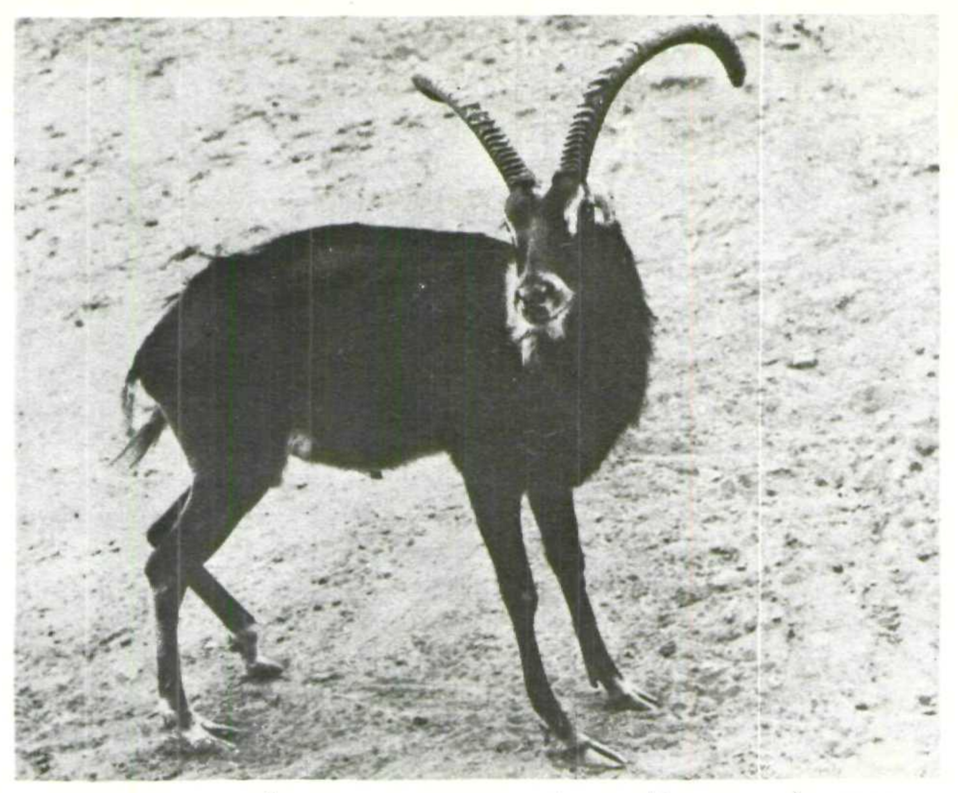
الحيوان النفيس ينقرض من الوجود لولا ان ادركه القانون فأنقذ ما تبقى منه . وما يقال عن الزرافة يقال عن بقر الوحش والوعل والغزال والنعام وغيرها من حيوانات الصحراء .

وفي تلال البحر الأحمر كان يمارس الصيد بطريقة مؤلمة . اذ يطارد الحيوان الى أن يحصر في شق ضيق في الجبل . ومن ثم يرشق بالحجارة حتى يدمى ويصيبه الاعياء والوهن فيسقط .

وفي الجنوب كان الأهالي يصطادون الفيل بشكل جماعي مدمر . اذ يطوقون سربا كاملا بالنار يشعلونها من حوله في الحشائش اليابسة . فيموت من الأفيال عدد كبير وما ينجو منها يلقى حتفه بالرمح ، وبهذه الطريقه الوحشية يقضى على سرب بأكمله ولا يستفاد الا القليل من لحمه ومن عاجه الذي يصاب معظمه بالتلف .

وهناك طريقة أخرى قاسية لصيد الفيل . وهي أن تحفر حفرة عميقة في طريق الفيل ، وتغطى بفروع الشجر والحشائش فلا يبدو منها ما ينم عنها ، حتى اذا مر الفيل عليها هوى فيها واستقر في جوفها وتعرض ظهره لطعنات الرماح القاتلة وهو مغلوب على أمره ولا يستطيع حراكا . والجدير بالذكر ان هذا الفخ يشكل خطرا على الانسان نفسه . فكثيرا ما صيد فيه الباحث عن الصيد !

هذه اذن هي الأسباب التي دعت الى سن قانون الصيد . فهو ينص على حماية الفصائل النادرة ، والحد في صيد بعض الفصائل ، وحظر الصيد بالطرق غير المشروعة .



غزال النيل «أبو عق» ، ويكثر وجوده في منطقة المستنقعات ويطلق عليه أحيانا اسم «مسز جراي» .

ولعل القارىء يتطلع الى معرفة شيء عن حيوانات الصيد في بلادنا ، والأماكن التي توجد بها ، والوقت المناسب لصيدها . ان هذه الأرض الواسعة المترامية الأطراف ، المتباينة الأقاليم والأجواء لا بد أن تزخر بصنوف شتى غريبة ومتباينة أيضا . والواقع ان للمناخ والبيئة أثرهما المميز في تكييف الحيوان . ولذا تجد أن حيوان الصحراء يختلف في شكله ونوعه عن حيوان الغاب . وبمعنى آخر ان لكل بيئة حيواناتها الخاصة بها . وهناك مناطق رئيسية للصيد بالسودان هي :

(١) – المنطقة الصحراوية التي تقع في الشمال الغربي بين حدود الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية تشاد . والراغبون في الصيد في هذه المنطقة يبدأون حملتهم من مدينة الفاشر عاصمة دارفور ، ويمكن الوصول اليها بالطائرة من الخرطوم ، ومنها بالسيارة الى كتم ، ومن هذه على ظهور الابل الى وادي هور حيث يتوافر أجود الصيد مثل أم كبجو ، وغزال ريل ، والرشيق من كل ظبي ، والأسد والنعام ، وقط الزباد ، والقنفذ ، وكبش مي . وأفضل المواسم في هذه المنطقة في ديسمبر ويناير .

(٢) – منطقة ساحل البحر الأحمر . وتبدأ رحلة الصيد من مدينة طوكر التي تقع على بعد مائة ميل جنوبي بورتسودان ، وتستمر الرحلة من طوكر الى مكان الصيد على ظهر الابل وتستغرق ثلاثة أيام . ويشاهد في هذه المنطقة الذئب آرد ، وحمار الوادي ، وأبي نطاط ، والفهد ، ومعيز الجبل على الهضاب الصحراوية الذي متى رأيته أحببته وأكرمته ورأيت فيه حيوانا ملتحيا ..

(٣) – منطقة الحشائش على السهل الأخضر الواقع شرق النيل بين ملكال وجوبا ، وفي هذه المنطقة تتدفق أعداد كبيرة من الصيد . ففي الفترة ما بين مايو ويوليو يرد الى المكان حوالي مليون رأس من الظباء سعيا وراء المرعى الرطب الخصيب . وهذه المنطقة أيضا تمتد غرب النيل في شكل مثلث بين ملكال وبحر العرب ومنطقة السدود . ومرة أخرى يشاهد في هذه المنطقة الذئب آرد ، وبقر الوحش ، والجاموس الذي ينبغي أن تأخذ حذرك منه ، وغزال أم دقيق وأنفه الطويل المكسو بالشعر ، وشيئا ذلك الفهد الصياد الذي يقبض بمخلبه على حلقوم قناصه ، والبقر البري وفيه ما يزن ١٢٠٠ رطل من اللحم ، والفيل وهذا الطير الأبيض الذي يحلق فوقه وحواليه ويحط عليه ينتزع من جسمه القراد ، والزرافي ومنها سمي بحر الزراف وهو رافد من روافد النيل أسمته العرب هذا الاسم لكثرة ما شاهدوا فيه من الزرافي ، وتعتبر الزرافي من الحيوانات الأليفة ، وليس من الصعب عليك التقاط صورة لها على بعد عشرين ياردة ، والفهد ، والأسد ، وحمار الوحش ويشبه الخيل والحمير ولكنه يختلف عنها بجلده المخطط ، ويعرف عند العرب باسم الفرا ومنه قالوا في المثل المشهور : كل الصيد في جوف الفرا ..

(٤) – منطقة الأدغال وفيها جبال الأماتونج المشهورة بأشجارها الكثيفة اللفيفة ، والتي يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم . وتقع هذه المنطقة على الضفة الشرقية للنيل من منجلا حتى حدود يوغنده . وعلى الضفة الغربية من بورتسودان حتى بحر العرب وفيها الجاموس ، وغزال أم دمه ، والفيل ، ويمتاز فيل الضفة الشرقية بنعومة سنه وجودة أنيابه ، والفهد ، والأسد ، ووحيد القرن بنوعيه الأبيض والأسود ، والغزال أبو نباح ، وغزال الكتمبور .

(٥) – منطقة الغابات ومساحتها قليلة وتقع على الحدود بين السودان والكنغو ، والصيد فيها عملية شاقة نسبة لوعورة مسالكها . ويختلف جوها عن جو سائر المناطق ، فأشجارها عالية ظليلة يرابط بين أغصانها النسناس والشمبانزي ، وتنبث فيها الطيور على اختلاف أنواعها وأشكالها ، وتنتقل من فنن الى فنن ، وتملأ الجو ونفحته الطيبة بشقشقتها وتغريدها العذب . ويعيش في هذه المنطقة وعل البنقو وهو من الحيوانات النادرة ، أحمر اللون ذو خطوط بيضاء أفقية ، وزنته ٤٨٠ رطلا ، والجاموس ، والفيل . ومما يذكر أن الفيل في هذه المنطقة يتميز بصغر الحجم وبالأذن المستديرة وبالسن الطويلة .

(٦) – منطقة المستنقعات وتقع فيها منطقة السدود ويطول فيها نبات البردى . ويلجأ اليها الفيل في زمن الجفاف ، وغزال النيل أبو عق وهو حيوان استحوذ اهتمام علماء الطبيعة واسمه «مسز جراي» على اسم زوجة أحدهم . وكان أول من اكتشفه ثيودور هيجلين أحد علماء الطبيعة .

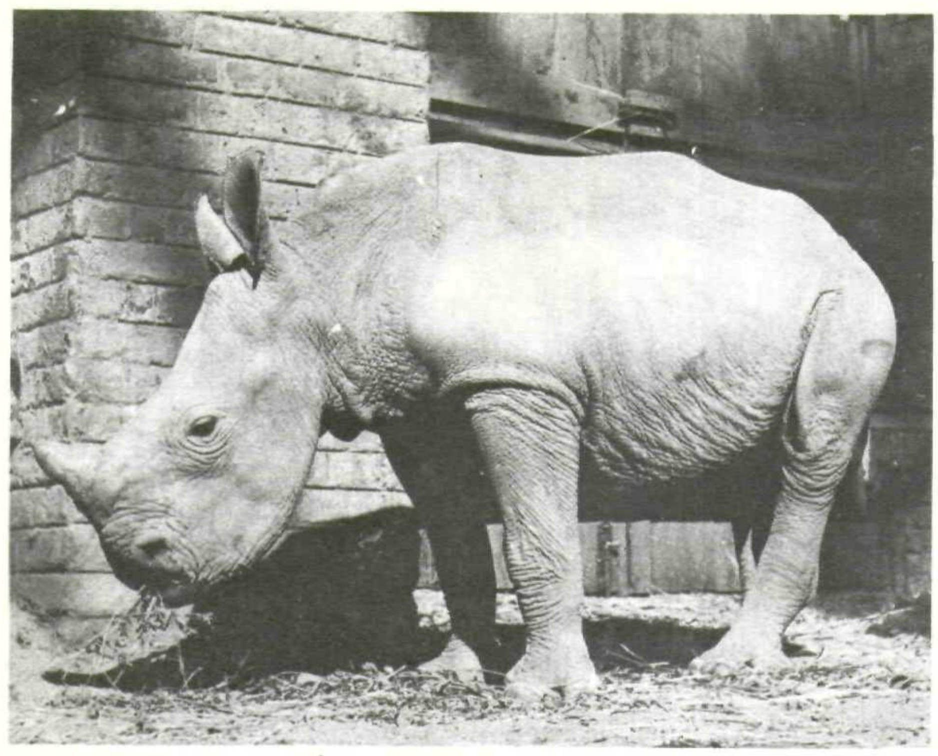
تلكم هي حيوانات الصيد في السودان . وقد يتساءل القارىء، أي هذه الحيوانات أقوى بأسا وأشد خطرا . ان كبار الصيادين يجيبون على هذا السؤال ولهم وجهات نظر مختلفة في هذا الموضوع . فمنهم من يرى أن الفيل هو أخطر الحيوانات ، ومنهم من يقول

بل هو الأسد ، ومنهم من يؤكد أن أخطر الحيوانات قاطبة هو الجاموس .

والواقع أن هذه الحيوانات الثلاثة هي أخطر حيوانات الصيد اذ انها لا تهرب من الصياد اذا رأته بل تقف وتتحداه وتهجم عليه وكأنها تأخذ بثأر لها قديم . فهي ليست كغيرها من سائر الحيوان الذي اذا أحس بوجود الانسان ارتعدت فرائصه ولاذ بالفرار . وهواة الصيد يعرفون هذه الحقيقة . وقد علمت من مغامراتهم أن خطر هذه الحيوانات الثلاثة ، الأسد والفيل والجاموس ، يتمثل و يتحقق في عدم اتباع قواعد الصيد ، والجهل بتكتيك الحيوان ، واستخدام سلاح غير ملائم . فمن قواعد الصيد التي ينصح بها العارفون وضع الصائد بالنسبة للصيد فلا ينبغي أن يقذف الصائد الحيوان وهو على بعد يزيد على ستين ياردة منه ، أو اذا كان بينه وبين هدفه ما يحول دون وضوح الرؤية كالحشائش وفروع الشجر فانها تنحرف بالقذيفة . كما انه لا ينبغي أن يقذف الصيد وهو متحرك الا في حالة هجوم مفاجيء . وعلى الصياد الا يطلق القذيفة الا اذا كان متأكدا انها تصيب مقتلا ، ومن الضروري أن يعرف الهدف الذي يصيب مقتلا في الحيوان فيقضي عليه في حينه . فالمقتل بالنسبة للجاموس عنقه ، وبالنسبة للأسد قلبه وبالنسبة للفيل مخه . وهذه الحيوانات تشم رائحة الانسان على مسافة بعيدة لذا وجب على الصياد أن يقترب منها في الاتجاه المضاد للريح . والجدير بالذكر أن هذه الحيوانات عندما تبحث عن فرائسها تسير اليها في الاتجاه المضاد للريح .

والصائد الماهر الخبير يعرف خصائص الحيوان ، وخطته في الهجوم ، وحيلته في الخداع ، ومناوراته للانتقام. فالجاموس اذا هاجم استبسل الى أقصى حد فلا يتراجع أو يتخاذل مهما تكن جراحه خطيرة ، ولا يكف عن الهجوم في شراسة وامعان حتى الموت . فالجاموس الجريح يجب الحذر منه كل الحذر ، فانه يعدو كالمجنون في دائرة تمر بقناصه وهو يهدف من وراء ذلك الى تطويقه والانقضاض عليه من الخلف. والأسد المصاب يعز عليه أن يقتل وهو ملك الغاب ، فلا يلبث ان يهجم على قاتله بقفزة مثل لمح البصر فيضر به ضربة لا يتحرك بعدها أبدا . ويبدو أن بين الفيل والانسان عداء شديدا ، فاذا ما رمى الفيل ظن بالغريزة أن الرماية من «عصائب طير تهتدى بعصائب» فيهم بالثأر من عدوه الانسان « أبرهه » الذي عرض أسلافه الأفيال للطير الأبابيل .. لهذا كله فان الصائد الحذر ، العارف بفنه ، يبتعد عن فريسته بقدر الامكان . ولا يخدعنه سقوطها أو انقطاعها عن الحركة ، فتلك حيلة من حيلها في الخداع وخاصة عند الجاموس ، فمن عادته اذا أصيب أن « يتماوت » حتى اذا دنا منه غريمه تمكن من الانقضاض عليه . وأخيرا فان من الأسباب التي تضع الموقف في يد الحيوان وتشكل خطرا على حياة الصائد استعمال السلاح الضعيف غير الملائم .

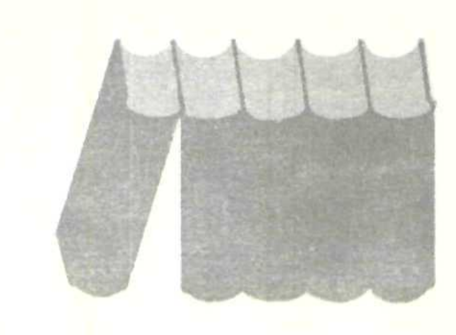
وبعد فان رحلة للصيد في فيافي السودان ، وبين الدوح والخمائل وفي جو مفاجآت الغزلان النافرة ، والوحوش الكاسرة ، لهي أعظم متعة وأخلد ذكرى في حياة الصائد وجواب الآفاق .



وحيد القرن (الخرتيت) و طول قرنه الوحيد ٢٠ بوصة ، وهو أكبر الحيوانات البرية حجما بعد الفيل ، يبلغ وزنه ثلاثة أطنان ، وهو غالي الثمن اذ يصل ثمن الواحد الى نحو ١١ الفا من الجنيهات .

الجاموس الافريقي ، ويشتهر بشراسته .





المعاجم العربية

أهميتها واصلاح نقائصها

بقلم الاستاذ عبد الحافظ كمال

تفتقر معاجمنا العربية في العصر الحاضر الى التطوير الشامل تبويبا وتفصيلا ، ومعالجة المفردات نشأة وظهورا بطريقة تحقق للطالب بغيته وللباحث غايته .

المفردات لبنات اللغة ومنها تبنى ، والمفردات أوعية الفكر ولا يمكن نقل الفكر من شخص الى آخر الا في وعاء الكلمات . وكلما كان الاناء ملائما كان التعبير أدق معنى وأوقع أثرا . وهذا لا يعني ان بناء الجملة وترتيبها يقلان أهمية عن المفردات ، كما لا يعني أن التعابير والاصطلاحات أقل قيمة من المفردات . غير أنه من المعروف أن مفردات أي لغة من أهم عوامل التعبير عن الفكر في تلك اللغة . وهي من الأمور التي يكتسبها باستمرار أي متكلم بتلك اللغة ويعمل بها مهما بلغ عمق معرفته في هذا المضمار .

والمفردات كالأفراد تتطور وتتغير . تبدأ شيئا مجهولا ثم تنمو وتشتد ويعظم تأثيرها ثم تشيخ وتهرم ، وقد تفنى . وقد تترك وراءها بعض الجذور التي تنبت كلمات جديدة لها معان جديدة . وقد تكتسب بعض المعاني السيئة فتترك وتحل محلها كلمة أخرى وهكذا ... فالكلمات والمفردات منها النبيل ومنها الوضيع ومنها الفخم ومنها المبتذل ومنها الجارح ومنها الطيب كما قال تعالى في محكم كتابه : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء » .

ومرجع كل ذلك ، المعاجم . فهي معين اللغة ومعدنها وضابطها . ومعنى ذلك انه اذا اختلف اثنان في معنى كلمة ما فالقول الفصل في المعجم . غير أن المسألة ليست بهذه البساطة لأن الكلمة تتحور وتتطور ويتبدل معناها من جيل الى جيل ، بل من قطر الى قطر في الجيل ذاته ، ولذلك فاننا قد نجد أن الكلمة قد اختلف معناها في العصور ، فهناك معناها في النقوش الحجرية المعينية أو السبئية المكتوبة بالمسند أو باللحيانية أو الثمودية ، ثم معناها في الجاهلية ، ثم في الاسلام ، ثم معناها في القرن الأول الهجري فالثاني فالثالث وهكذا الى العصر الحاضر مع الاستشهاد بالنص الذي وردت فيه في كل حالة ان أمكن وتاريخ ذلك النص بالدقة الممكنة . فاذا أخذنا كلمة « هجر » مثلا نجد في نقوش المسند (أي اللغة العربية الجنوبية في اليمن والتي نقشت على الصخور بحروف تسمى المسند) نجد أن معناها« مدينة » ومنها « هجر » في الاحساء . ثم نجد أن الفعل في العربية له المعاني المعروفة في بابي « هجر » و « هاجر » الى غير ذلك . ثم جاء الاسلام فاكتسب الفعل « هاجر » معنى اضافيا وعلى الأخص عندما تتبعه الجملة « في سبيل الله » ، أي ترك ما في البادية من تناحر وكفر وتفاخر وثارات — تركها جسما وروحا . ومنها هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . والهجرة في الحديث الشريف « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ... » كذلك كلمة « نفط » ، التي يرجع تاريخها الى آلاف السنين نجدها في نقوش المسند على صورة الفعل « وفط » بمعنى حرق ، ونجد مشتقها « موفط » بمعنى « حريق أو التهاب » . ثم بعد ذلك نجدها بعد الاسلام « فعلا » كقولهم : نفطت القدر أي غلت ورمت كالسهام ، و « اسما » على صورة « نفط » (والنون في اللغات السامية تتبادل مع بعض الحروف في حالات معينة) ، وهو يطلق على ما نسميه اليوم« بالبترول » أو « الزيت الخام » ، ثم على « النار الاغريقية » لأنه أهم موادها . ثم استعملت في العصور الوسطى لتدل على جميع « المواد الحربية الملتهبة » التي تلقى على الأعداء بالمزاريق . وعندما وصلت الأسلحة النارية الينا في منتصف القرون الوسطى أصبح معناها « ملح البارود» كما يتضح من التعابير الحربية آنذاك : « مكاحل النفط » ومفردها مكحلة النفط ، وعند ابن خلدون ، « هندام النفط » . ولكنها لم تلبث ان حل محلها كلمتا كحل ، وبارود ، والتزمت كلمة «نفط» أخيرا بمعنى البترول خاصة .

كل هذه الأمور على بالغ أهميتها لا نجدها في معاجمنا لأنها تتبع الأساليب القديمة الموروثة . وكذلك ورثنا مع هذا طريقة صعبة في بعض المعاجم القديمة التي لا تزال من أهم المعاجم بين أيدينا ولا يمكن الاستغناء عنها مثل « القاموس المحيط » للفيروزبادي و « تاج العروس » و « لسان العرب » ، الا وهي التفتيش

عن الكلمة حسب الحرف الأخير من أصلها ثم بعد ذلك الرجوع الى الحرف الأول . هذا من جهة، ومن جهة أخرى وهـو ما يؤخذ على معاجمنا العصرية منها على وجه أخص ، انها لا ترجع الكلمات الى الأصول التي أخذت منها ان كانت أجنبية كالكلمات الفارسية واليونانية وغيرها فقلما نجد اليوم معجما للغة أوروبية حديثة لا يعطي الأصل الذي اشتقت منه الكلمة والمعنى الذي كانت عليه في تلك اللغة .

وكذلك ينقص معاجمنا الرسوم التفصيلية . فمثلا قد تجد في بعض معاجمنا العصرية صورة زهرة ، غير أن هذه الصورة لا تكفي . ويكتمل الغرض اذا ما أضيفت الاسماء العلمية لجميع اجزائها مشارا اليها أما بأسهم أو بأرقام ، كما نجد ذلك في معظم المعاجم العصرية لأي لغة أوروبية . وهناك أشياء لا يمكن أن يفهمها الانسان وحده من المعجم مهما شرحت له بالكلمات الا اذا صورت وأشير الى مكانها وحدودها في الصورة . ومن نقائص معاجمنا أيضا انها لا تجمع الكلمات التي تدل على المعاني المتقاربة وتبين أوجه تشابهها واختلافها مع الأمثلة . فمثلا هناك كلمات كثيرة تدل على النوم باشكاله ودرجاته المختلفة ومقدماته : كالنوم والكرى ، والتهويم . والوسن ، والقيلولة ، والنعاس . فمعظم المعاجم العصرية الأجنبية لدى بحثها كلمة ما ، تجمع في مكان واحد من المعجم معظم الكلمات المتشابهة التي قد يختلط معناها وتعطي أمثلة على استعمال كل منها .

وقد يحتج البعض بأن مكان ذلك هو كتب فقه اللغة . والجواب على هذا القول هو أن كتب فقه اللغة هي مراجع الاخصائيين للنظر في التفاصيل الدقيقة . أما المعاجم فيجب أن تشير الى ذلك باقتضاب لأن من يلجأ اليها ، وهم الكثرة الساحقة ، ليس لديهم الفراغ أو الميل أو الامكانية لمراجعة كتب الفقه التي قد لا تكون في متناول أيديهم في معظم الحالات .

وليس هذا فحسب ، وانما مع الأسف ، لم يعتن الأقدمون في معظم المعاجم الا باللغة الأدبية ولذلك لا نجد في معاجمنا كل كلمة وردت في اللغة العربية وعلى الأخص المفردات العامية التي وردت في عصور ازدهار اللغة ، العلمي والفلسفي والفني والمعماري في القرون الوسطى . وقد شعر بذلك بعض الأقدمين فأضافوا بعض الزيادات التي ارتأوها . الا أن بعض الأوروبيين قد وضع معاجم عربية ، جمعوا فيها ما فات المعاجم العربية . وقد طبع المؤرخ دوزي قبل حوالي نصف قرن « ملحق المعاجم العربية » في جزئين كبيرين أعطى فيهما معاني المفردات العربية مع شرح أصل كل كلمة واللغة التي اقتبست منها مع ذكر المصدر والجمل المختلفة التي وردت فيها بالعربية ثم ترجمها الى الفرنسية . ومع كل ما أضيف الى المعاجم العربية فاننا لا نزال نعجز عن العثور فيها على كثير من المفردات والكلمات والتعابير العلمية والفلسفية والمعمارية التي استعملها العرب في حضاراتهم المزدهرة الشاسعة . ولا يمكن في معاجم اللغة التفريق بين المفردات الأدبية والعلمية لأن النوعين معا يكونان اللغة .

فمن الضروري اذن ، ايجاد معاجم من طراز جديد بالاضافة الى توسيع قواميسنا المألوفة لتشمل ما في اللغة من مفردات وتعبيرات واصطلاحات . وأعني بمعاجم الطراز الحديث تلك التي تجمع المفردات وترتبها حسب الموضوعات المختلفة ثم ترتب المفردات تحت الموضوعات حسب الأبجدية أيضا . ففي المعاجم العادية لا يفيدك المعجم الا اذا عرفت الكلمة فتريد أن تراها أو ان تتحقق من معناها . ولكنك لا تستطيع أن تستعين بالمعجم للاهتداء الى كلمة تريدها لتؤدي معنى خاصا في ناحية معينة . تريد مثلا أن تعرف فيما اذا كان لدينا في لغتنا اسم أو لفظ أو تعبير خاص للرفرف الخارجي من البناء فوق الباب أو النافذة لصد المطر والريح والشمس . فانك لا تستطيع الاهتداء الى ذلك عن طريق المعاجم العادية . أما في المعجم الذي أعنيه فبالامكان أن تفتح قسم البناء وأجزائه ، وعند القسم المعين تجد أسماء أقسام البناء مصورة مبوبة مرتبة . فكلمة «السّدفة» مثلا تجدها مع شرح معناها والتعبيرات التي وردت فيها بالاضافة الى مصادرها وتواريخها . ومع أن كل قسم من هذه الأقسام قد يؤلف وحدة مفردة كالمعجم النباتي ، والمعجم العسكري ، والمعجم الطبي ، والمعجم المعماري ، الا أنه يجب أن تجمع أهـم المفردات في جميع الموضوعات واصطلاحاتها وتوضع في معجم واحـد مبسط منسق مصور .

وتبرز الأهمية البالغة للمعاجم في الوقت الحاضر على الأخص ، لأننا في فورة ترجمة هائلة عظيمة الاتساع ، فيجب أن نحصي في كتاب ما عندنا من ذخيرة قبل محاولة اختراع كلمات أو تعابير حديثة ، وهذا العمل – ان تم – سيساعد على توحيد الترجمة في العالم العربي من أقصاه الى أقصاه .



في منفعة البنين

◦ سئل أحد الحكماء : ما منفعة الولد ؟ قال : يستعذب بـه العيش ، ويهون به الموت . ثم قال : خير ما أعطي الرجل بعد الصحة والأمن والعقل ، ولد موافق من زوجة موافقة .

في الصداقة

◦ رأى بعض الحكماء رجلين لا يفترقان ، فسأل عنهما . فقيل له : انهما صديقان . فقال : ما بال أحدهما غني والآخر فقير ؟ .

◦ الصديق الموافق خير من الشقيق المنافق .

في آداب المجالس

◦ قال الأحنف : ما جلست مجلسا خفت أن أقام منه لغيري .

◦ وقال الشعبي : لأن أدعى من بعيد أحب اليّ من أن أدفع من قريب .

أيا شبه ليلى لا تراعي

مر المجنون برجلين قد صادا ظبية فربطاها بحبل وذهبا بها ، فلما نظر اليها وهي تركض في حبالهما دمعت عيناه ، وقال لهما : حلاها وخذا مكانها شاة من غنمي ، ثم أنشدهما :

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذا
في الحبل شبها لليلى ثم غلاها
اني أرى اليوم في أعطاف شاتكما
مشابها أشبهت ليلى فحلاها

ثم أعطاهما الشاة فحلاها ، فولت هاربة فقال وقد نظر اليها وهي تعدو :

أيا شبه ليلى لا تراعي فانني
لك اليوم من وحشية لصديق
ويا شبه ليلى لو تلبثت ساعة
لعل فؤادي من جواه يفيق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها
ولكن عظم الساق منك دقيق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها
لأنت لليلى ما حييت طليق

المشكلات الزوجية

اصولها وفروعها

بقلم الاستاذ عبد المنعم الزيادي

ان الزواج الذي شرعه الله صونا وعصمة للفرد ، ذكرا وأنثى ، وللمجتمع عامة ، قد أصبح في هذا العصر بحكم تعقد الحياة واتساع نطاق المعرفة وتوفرها للذكور والأناث على السواء ، أصبح فنا يستوجب أن يحذقه المرء اذا كان ينشد في حياته عامة ، لا الزوجية فحسب ، صفاء الذهن وسكينة النفس .

ذلك أن سعادة الفرد التي شرع الزواج لاستكمالها ، لم تعد ، كما كانت فيما سلف من العصور ، تتمثل في ملء البطون وإشباع الرغبات ، وانما أصبحت سواء بالزواج أو بدونه سبيلا وعرا ودربا ملتويا لا غنى لمن يريد أن يسلكه عن قدر من المعرفة ، وحسن الادراك ، وعمق النظر ، والاستعداد للتضحية بما يمكن التضحية به في سبيل ما لا يمكن التضحية به .

وقد زاد في تعقيد الزواج تعدد البيئات في المجتمع الواحد . فلم يعد المجتمع كله ، في أي مكان في عصرنا هذا ، مجتمع صيد وقنص ، ولا مجتمع رعي ، ولا مجتمعا زراعيا ، بل ولا مجتمعا صناعيا ، وانما أصبح مجتمعا تتعدد فيه البيئات وتتعدد داخل البيئات النشأة والميول ، والمشارب والطباع . وهكذا ، فحين يرتبط اثنان بالزواج ، قد يجتمع تحت سقف واحد فردان تتمثل في كل منهما بيئة حضارية مختلفة ، بكل ما تنطوي عليه مقومات البيئة من اتجاهات ذهنية وانفعالية ومشارب ثقافية ، وطباع وعادات وتقاليد .

ويتحتم على الزوجين اذن ، أن يعايش أحدهما الآخر في تفاهم وتوافق وانسجام ، لكي يسعدا وتطيب لهما الحياة .

ولما كانت الحضارة هي ذاتها التي عقدت الزواج ، فقد عادت من بعد ذلك — كدأبها — الى محاولة تبسيطه وازالة التعقيد عنه . فما لبث الزواج ان وضع قيد دراسة شاملة مستفيضة باعتباره علاقة انسانية أساسية ، وباعتبار الشركة الزوجية وحدة أساسية للمجتمع لأنها هي التي تخرج للمجتمع أفراده بكل ما يتسمون به من صلاح أو انحراف . وكما تخرّج المعاهد اليوم أطباء لعلاج علل الجسم ، واخصائيين لتطبيب أمراض العقل والنفس ، أصبحت تخرج أيضا خبراء بشؤون الزواج مهمتهم الارشاد والتوجيه واسداء المشورة لمن تعثروا في طريق الزوجية .

ولكن المعرفة المتاحة اليوم عن الزواج لم تعد تدّخر حتى يسديها الخبراء لمن يلوذ بهم ، وانما ذاعت وانتشرت كغيرها من ألوان المعرفة. وهكذا لم يعد التعقيد الذي لحق بالزواج مبررا لأن يتعذر به المرء عن فشل أو شقاء أو ضياع للنسل في تيه الفرقة الزوجية .

وللمشكلات الزوجية شأنها شأن أية مشكلات أخرى ، أصول أصبحت بالخبرة والمعرفة ، معروفة محددة ، وفروع لا حصر لها ولا عدّ كعدد الفروع التي يمكن أن تنبت على جذع شجرة على مرّ السنين ، اذا ذوى منها فرع تجدد بدلا منه فرع آخر .

ولا بدّ هنا من القول بأن كثيرا من المشاحنات الزوجية قد تكون فروعا لأصول سليمة لا علّة بها . فالمشاحنات هنا نتاج طبيعي للاحتكاك والمعايشة ، كما قد يحدث بين الأخوة والأصدقاء . فالتوافق الزوجي في أفضل حالاته لا يمكن أن يلغي فردية كل من الزوجين ، وعن هذه الفردية ينبع الشقاق والمشاحنة والخصام أحيانا ولكن دون أضرار بالاطار الشامل من التوافق والانسجام .

ولا بد أيضا من القول بأن المشكلة الفرعية الواحدة قد تكون ناشئة عن أصل سوي وقد تكون ناشئة عن أصل سقيم .. ومحك التمييز بين الحالتين ان المشكلة في الحالة الأولى تحل بالتفاهم والاقتناع ، وانها في الحالة الثانية تستعصي على التفاهم ويحل فيها التشبث والعناد محل الاقناع .

وقد رُدّت المشكلات الزوجية ، كما أسلفنا ، وخاصة تلك التي تستفحل وتتفاقم وتنذر أو تنزل فعلا التعاسة والشقاء ، الى أصول محددة وكثيرا ما يتضح أن أغلب هذه الأصول دفين في أعماق النفس لا يدري به المرء وان كان يعاني من أعراضه. وأهم هذه الأصول توقف النموّ العاطفي . فكما قد يتوقف النمو العقلي لعلّة عفوية ، كذلك يتوقف النمو العاطفي لعلّة نفسية . فان النمو العاطفي للطفل لا يسير في مجراه الطبيعي الا اذا أحيط بجوّ من الفهم والحب والحنوّ من والديه كليهما . فاذا كان هناك ما يفسد هذا الجو فان النمو العاطفي قد

يتوقف عند مرحلة طفلية بعينها ويشبّ الطفل وقد نما جسمه وعقله ولكن عواطفه لبثت متخلفة عند المرحلة التي توقف عندها نموها . وهنا يجدر بنا أن نشير الى أن الشقاق الزوجي يمكن أن يدور في دائرة مفرغة تنتظم أجيالا بأسرها اذا لم يحدث ما يحطم هذه الدائرة . فالطفل الذي شب في بيت يظلّله التنافر المستحكم والشقاق المستمر بين والديه خليق بأن يشبّ غير ناضج العاطفة وهو خليق أيضا بأن يوقع أطفاله فيما وقع فيه ، ويشقي حياتهم في كبرهم كما شقي هو في حياته .

لهذا اذا كانت الحكمة القديمة « أعرف نفسك » تزجى للمرء المقبل على خطوة جديدة يخطوها في الحياة فأولى بها أن تزجى للمقبل على الزواج ، فان الاقدام على الزواج بنفس سوية وعاطفة ناضجة هو أفضل ضمان للسعادة الزوجية .

ومن الأصول المهمة الأخرى للشقاق الزوجي الجهل . ولا نقصد بالجهل هنا الأميّة وانما نقصد الجهل بأوسع معانيه .. وعلى الأخص جهل المرء بما يتوقعه من الحياة الزوجية ، وجهله بالدور الذي لا بد أن يلعبه لاسعاد زواجه . فالزواج صرح يشيده الانسان بنفسه . ويبذل الجهد في سبيل صياغته ودعمه ، وان اقتضى هذا ، وهو عادة يقتضي . التضحية ببعض ما اعتادته النفس وألفته .

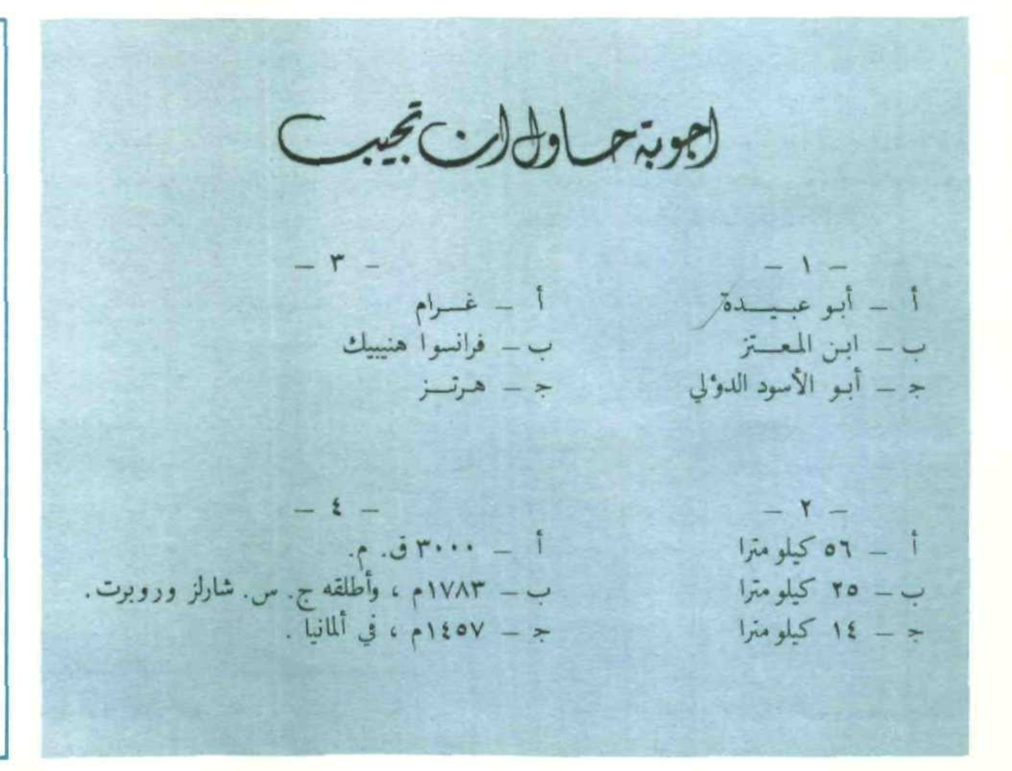
ومن الأصول العريضة الأخرى للمشكلات الزوجية اساءة اختيار الشريك . وعلى الرغم من حيويّة الزواج وجوهريته لسعادة الانسان في حياته عامة ، ليس أسهل من أن يقع المقبل على الزواج في خطأ اساءة اختيار الشريك . فلما كان الاشباع العاطفي من بين الأهداف الأساسية للزواج ، لهذا سهل أن تعمي العاطفة الهوجاء بصر المرء وتدفعه الى اختيار غير سليم لا يستشعر مغبّته الا بعد فتور سورة العاطفة . وليس لاختيار شريك الحياة قاعدة عامة واحدة . فالاختيار مسألة فردية ترجع الى المرء نفسه وما يتصف به من صفات ذهنية وثقافية وما شب عليه من عادات وطباع . ولكن القاعدة التي يمكن أن تساق بصفة عامة للمقبل على الزواج هي ألا يدع الحكم كله لعاطفته ، بل عليه أن يحكّم عقله أيضا . فالزواج ليس متعة عابرة زائلة وانما هو دعامة قوية من دعائم سعادته وسعادة أبنائه من بعده . وهو ، في صدد تحكيم العقل ، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ما جبل عليه من طباع ، وما اكتسبه من عادات ، وما شب عليه من نشأة ، وما بلغه من مستوى فكري .

والحديث عن المشكلات الزوجية أصولها وفروعها اذا أردنا التفصيل يستوعب مجلدات ، ولكنا نكتفي هنا بهذه الأصول العريضة الثلاثة . واذا شئنا أن نسوق هذه الأصول في صور نصائح تزجى للمقبل على الزواج لوضعناها هكذا :

(١) — أعرف نفسك

(٢) — وسع دائرة معارفك بمتطلّبات الزواج .

(٣) — أحسن اختيار شريك حياتك .



اجوبة حاول ان تجيب

— ١ —

أ — أبو عبيدة

ب — ابن المعتز

ج — أبو الأسود الدؤلي

— ٢ —

أ — ٥٦ كيلو مترا

ب — ٢٥ كيلو مترا

ج — ١٤ كيلو مترا

— ٣ —

أ — غرام

ب — فرانسوا هنيبيك

ج — هرتز

— ٤ —

أ — ٣٠٠٠ ق. م.

ب — ١٧٨٣م ، وأطلقه ج. س. شارلز وروبرت.

ج — ١٤٥٧م ، في ألمانيا .

تصحيح خطأ

نلفت نظر القراء الكرام الى ان هناك خطأين مطبعيين وقعا عفواً في عدد ذي الحجة المنصرم . اولهما في تحريك كلمة « ... ولْيطوفوا ... » التي وردت في الآية الكريمة المنشورة على الصفحة الأولى والصواب « ... ولْيَطّوَّفوا ... » . اما الخطأ الثاني فقد ورد في الآية الكريمة المنشورة مباشرة تحت الصورة الأولى على الصفحة الثانية واذ جعلنا البيت مثاباً للناس وأمناً والصواب « ... مثابةً ... » .

وجل من لا يسهو








الحركة الأدبية في العالم العربي

◌ معجم «تاج العروس» للزبيدي ، وهو من أمهات المعاجم العربية ، شرع في اخراجه في طبعة كبيرة موسعة بتحقيق طائفة من أعلام اللغويين المعاصرين وعناية حكومة الكويت . وقد ظهر من هذا المعجم الجزءان الأول والثالث . فالأول حققه الأستاذ عبد الستار فراج ، والثالث حققه الأستاذ عبد الكريم العزباوي .

◌ أصدر الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي دراسة كبيرة عنوانها «أبو عثمان الجاحظ» ، تناول فيها عصر الجاحظ وحياته وخصائصه وأسلوبه وآثاره الباقية في الأدب العربي . وفي الكتاب من امارات الجهد العلمي العنيف ما يجعله من خيرة كتب السيرة عامة ، وكتب الترجمة للجاحظ بوجه خاص .

◌ وأخرج الأستاذ فوزي سليمان كتابا ممتعا عن الكاتب المعاصر الكبير الأستاذ ابراهيم المصري وحياته وأدبه ، أنصف فيه هذا الأديب الذواقة الذي شارك في الحياة الفكرية أكثر من أربعين عاما خصيبة ، وجلا دوره في النهضة الأدبية الحديثة بما ألفه وترجمه من مباحث في النقد والأدب والرواية والتحليل النفسي .

◌ ومن كتب التراجم التي صدرت في الأوان الأخير «ابن عربي : حياته ومذهبه» وقد ترجمه عن الاسبانية الدكتور عبد الرحمن بدوي . و «محمود حمدي الفلكي» للأستاذ أحمد سعيد الدمرداش . و «الامام أبو العباس المرسي» للأستاذ أحمد حسين الدسياوي . و «أحمد بن طولون» للدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف . و «جون ستاينبك» تأليف وارين فرنش وترجمة الدكتورة نور شريف . و «عبد المطلب جد الرسول» للدكتور علي حسن الخربوطي .

وظهرت طبعات جديدة من كتابي «عمرو بن العاص» و «ابن رشد» للمرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد . و «أبو الفرج الأصبهاني» للأستاذ شفيق جبري . و «الشيخ ناصيف اليازجي» للأستاذ عيسى ميخائيل سابا . و «ابن المقفع» للأستاذ حنا الفاخوري و «جرير» للأستاذ محمد ابراهيم جمعة . و «ابن قتيبة» للدكتور محمد زغلول سلام .

◌ أصدر الأديب اللبناني الاستاذ خليل رامز سركيس كتابا عنوانه «مصير» يعالج فيه بمنهاج المفكر الفيلسوف قضايا المصير الانساني وكفاح الانسان في سبيل تحقيق الحياة البشرية المثلى .

◌ ظهر للشاعر المهجري الكبير الياس فرحات كتاب جديد عنوانه «قال الراوي» فيه فصول كتبها الشاعر عن حياته وعن أصدقائه وتجاربه في بلاد الهجرة. وهذا ثاني كتاب نثري للشاعر فرحات . وكتابه الأول عنوانه «عودة الغائب» وفيه حديث عن رحلته الى الوطن الأم بعد غياب أوفى على نصف قرن .

◌ ظهرت طبعتان جديدتان للمسرحيتين الشهيرتين اللتين ترجمهما الشاعر الكبير الراحل خليل مطران عن شكسبير ، «هملت» و «تاجر البندقية» .

◌ وفي الأدب الروائي ظهرت رواية طويلة للأستاذ عبد المنعم الصاوي عنوانها «شراع أبيض» . كما ظهرت ترجمة لكتاب «شقيقتي ايلين» من تأليف روث ماكيني ، وترجمة الأديبة ديزي الأمير .

◌ من الكتب الاسلامية التي ظهرت أخيرا «اعجاز القرآن» للباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب ، من تحقيق الاستاذ السيد أحمد صقر ، و «أضواء على الفكر العربي الاسلامي» للأستاذ أنور الجندي ، و «أصحاب محمد» للأستاذ عبد الحليم عباس ، و «أحكام من القرآن والسنة» للدكتور الغندور والأستاذ عبد العظيم معاني ، و «بداية الطريق الى مناهج التحقيق في ظلال الشريعة ورحاب الحقيقة» للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني و «حماة الاسلام» للأستاذ مصطفى نجيب .

◌ كتابان جميلان للأطفال يشتملان على قصص وأناشيد أخلاقية وضعهما الأستاذ محمد يوسف المحجوب والأديبة فاطمة أبو طالب ، هما «الأرنب فوفو» و «الكلب ياسمين» . كذلك صدرت كتب علمية مبسطة للأطفال منها «علاء وبهاء في سفينة الفضاء» تأليف نوما زيمرمان وروبي شويلر وترجمة الدكتور محمد قدري لطفي . و «تعال معي الى مصنع الحديد والصلب» تأليف ايرما جرين وترجمة الدكتور سمير طاهر ، و «صديقنا ساعي البريد» تأليف كارلا جرين وترجمة الأديبة عقيلة عبد الحميد حمزه .

◌ أصدر الدكتور ابراهيم أنيس كتابا أدبيا جليلا عنوانه «في اللهجات العربية» درس فيه لهجات العرب منذ القديم وما تعرضت له من عوامل النمو والتغيير والضعف.

◌ من المؤلفات التي تبحث في علوم الاقتصاد والادارة ظهرت مجموعة نافعة من بينها «نظريات النمو الاقتصادي» للدكتور صلاح الدين نامق ، و «الادارة : هدفها وانجازها» تأليف أوردواي تيد وترجمة الدكتور علي كامل بدران وتقديم الدكتور محمد توفيق رمزي ، و «اقتصاديات المالية العامة» للدكتور منيس أسعد عبد الملك ، و «كيف تصبح عضوا في مجلس الادارة» تأليف روي سورنسن وترجمة الأستاذ سيد اسماعيل محمد ، و «ميزانية البرامج والاداء» تأليف الأستاذ عبد العزيز سيد محمد و «كيفية التخطيط للمؤتمرات وادارتها» تأليف ريشارد بكهارد وترجمة الأستاذ بهجت عبد الفتاح ، تحرير جماعة من الأمريكيين وترجمة الدكتور محمد لبيب النجيحي ، و «عناصر الادارة» تأليف لندول أورفيل وترجمة الاستاذ علي حامد بكر و «ادارة المشتريات والمخازن» — طبعة رابعة — تأليف الدكتور علي عبد المجيد عبده و «كيف تساعد الآخرين» تأليف رودلف وتنبرج وترجمة الأديبة فوزية محمد بدران .

◌ «الخزفيات للفنان الخزاف» كتاب عن صناعة الخزف ألفه ف. ه. نورتن وظهرت ترجمته العربية بقلم الفنان الأستاذ سعيد حامد الصدر ومراجعة الأستاذ عبد الحميد بحيري .

◌ ترجم الأستاذ محمد محمود كتابا ضخما عنوانه «أفكار ورجال» ألفه كرين برنتن وروى فيه قصة تاريخ الفكر الغربي من عهد اليونان الى القرن العشرين .

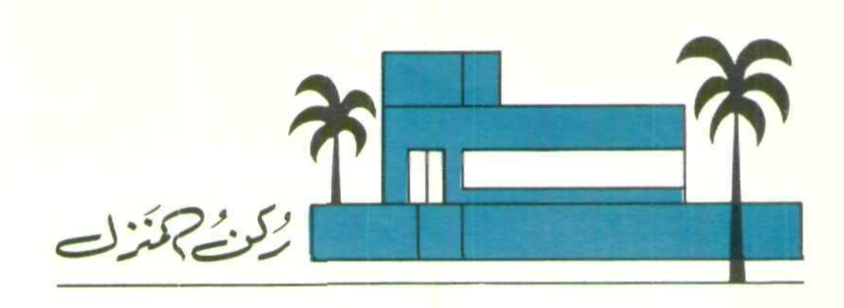
◌ أصدر الدكتور محمد علي ريان الجزء الأول من كتاب «تاريخ الفكر الفلسفي» .

التسامح



للشاعر : رياض معلوف

سألتك يا قلب لا تحقد
لأنك لست الحقود الرديّ
عرفتك يا قلب سمحا رقيقا
كبرعم ورد طريّ نديّ !..
وكل السماحة فيك تبدّت
كبحر اذا ما انتهى يبتدي ..
مليئك حب ورفق وعطف
بك الناس يا خافقي تقتدي !
ولولا المحبة لا شيء يغري
بعيش كثير الضنى أنكد ..
وان المحبة نور مضيء
دجى ليل أحقادنا الأسود
هو الصفح خير دواء وبرء
لكل حقود مسيء ردي !
ومهما تجنى الأنام فصفحا
عن الذنب يا صاح لا تحقد
اذا ما صفحت فذلك كبر
وذلك من شيمة السيّد
وليس التسامح ضعفا ولكن
هو النبل بل كرم المحتد ..



فقدان الثقة بالنفس

بقلم السيدة فضيلة هندي

حضر الى العيادة النفسية أحد الشبان يشكو من عجزه عن ضبط النظام في المدرسة التي يعمل مدرسا فيها بسبب استخفاف الطلاب بشخصيته ، ثم أردف قائلا بأن هذه الظاهرة قد جعلته يفقد ثقته بنفسه ونغصت عليه عيشه وباتت تشغل جزءا كبيرا من تفكيره ..

ولما سئل هذا الشاب عما اذا كانت هناك بوادر قديمة قد يكون لها صلة بفقدان ثقته بنفسه قال : « حينما كنت طالبا في الجامعة لم أكن استطيع القيام بعمل الا اذا ساعدني فيه غيري كما انني كنت أتهرب من تحمل المسؤوليات . وكنت في طفولتي لا أطيق الابتعاد عن أمي ، ولا أستطيع أن أجد رفيقا سواها فهي زميلتي في اللعب ، ورفيقتي عند القراءة وصاحبتي في رحلاتي وجولاتي » .

هذا حوار جرى بين طبيب نفساني ، وبين واحد من كثيرين ممن يترددون على العيادة النفسية ويشكون من أنهم فقدوا ثقتهم بأنفسهم .. وأنقل هذا الجزء من الحوار لأبين أن فقدان الثقة بالنفس كثيرا ما يرجع الى فترة الطفولة المبكرة في حياة الانسان ..

وتأخذ ظاهرة ضعف الثقة بالنفس أشكالا متعددة ، كالجبن ، والانكماش ، والتردد ، وتوقع الشر ، وعدم الاهتمام بالعمل والخوف منه ، واتهام الظروف عند الاخفاق فيه . وأحيانا يكون من مظاهره التشدد ، والمبالغة في الرغبة في الاتقان للوصول الى درجة الكمال . وهذا الاندفاع الى الكمال يدل عادة على ما يخفيه من خوف من نقد الآخرين . ومن مظاهره كذلك أحلام اليقظة ، وسوء السلوك والحالات العصبية ، والمرضية كالتهتهة ، والتبول ، وبعض حالات الشلل وغير ذلك . معنى هذا أن ضعف الثقة بالنفس قد يؤدي الى أساليب انسحابية أو سلبية كالكسل أو الانزواء أو الجبن ، وقد يؤدي الى أساليب تعويضية كالنقد والسخرية ، والتحكم ، والتصنع بالوقار المصطنع .

وضعف الثقة بالنفس هو تقدير المرء لذاته تقديرا أقل مما هي عليه في الحقيقة وهي خصلة هدامة للتقدم مفككة للشخصية . تتكون عادة في السنوات الأولى من حياة الطفل ، ويغرسها في نفسه أعز الناس اليه وأقربهم الى قلبه ، عن غير قصد ، وهما الوالدان .

فالطفل الصغير يعيش عادة في جو كله أمن واطمئنان ، فحاجاته مهيأة ورغباته مجابة ، فاذا صرخ هرعت اليه الأم لتلبي له كل رغباته وما يحتاج اليه .. ولهذا نجده يبدو وكأنه يتحكم في دنياه فهو يأمر ويصرخ ولا يصبر حتى تحضر له ما يريده في تأن وهدوء ، وانما يرفس ويصرخ بعنف وإلحاح الى أن يجاب طلبه ، فكأن نفس الطفل تشعر باطمئنان كبير وثقة الى من حولها . ويدرك بشعور خفي بأن لا يرفض له طلب بأي حال من الأحوال ..

ولكن الطفل عندما يقترب من السنة الثانية يتعلم المشي والكلام ، ويزداد نشاطه وتكثر حركته ويكون مملوءا ثقة بنفسه ، ويتضاعف شوقه للمس الاشياء وفحصها ، وهو لا يعرف منعا ولا زجرا . ولكن هذا النشاط المتزايد كثيرا ما لا يجد تشجيعا ولا قبولا من الكبار .. فاللعب والعبث بالأشياء التي تخص الكبار وخاصة الثمينة منها تجد معارضة ومقارنة . فكلما لمس شيئا ثمينا منعه الكبار أو صرخوا في وجهه وربما ضربوه . وهكذا يقابل الطفل حالات من المنع والضرب والزجر جديدة عليه لم يعرفها من قبل هذه السن . فيحل محل السعادة والطمأنينة اضطراب نفسي ، وقلق داخلي وشعور بفقد السند ، وفقد ما كان يملك من قوة يسخر بها من حوله لقضاء مطالبه واجابة حاجاته ..

هذا الانتقال الفجائي في المعاملة — عن غير قصد أو بقصد التوجيه والتأديب هو الذي ينقل الطفل من الاعتداد بالنفس الى فقدان الثقة بها ، ومن الايمان بقوة الشخصية الى التشكك في وجودها ، انتقالا بعيدا عن الأسلوب السوي الذي لا يعطي للطفل فرصة كافية لتحقيق ما عنده من

نشاط وحيوية في جو يسوده العطف والحرية والتقدير والشعور بالأمن والاستقرار وما اليها من حاجات الطفل النفسية .

وهكذا فان الظروف المحيطة بالأطفال تجعلهم يشعرون بشيء غير قليل من النقص .. فالطفل يشعر بأن والديه يتمتعان بقوة عظيمة وهو بجانب هذا ضعيف نظرا لصغر جسمه وضعفه واعتماده على والديه وقصور ادراكه .. فنرى أن نفسه تشتاق للكبر ، وتتعطش للنمو وكسب القوة ، فيقلد أبويه في كل أمر تقريبا . ويفرح لأي ظاهرة عنده من مظاهر النمو .. فكأن ضعف الطفل ، وقوة من حوله يشعرانه بالنقص والضعف . هذا بالاضافة الى ، بعض التغييرات الطارئة في مجال حياته كتكرار الحوادث أما بفعل القضاء أو بفعل معاملة الوالدين .

وبالاضافة الى هذا القصور الطبيعي الذي يشترك فيه الأطفال كافة ، فقد يكون لدى الطفل نقص جسماني خاص به كالحول أو العرج ، أو النحافة الزائدة ، أو البدانة المفرطة ، أو تشويه معين . . فعندما يقابل الكبار هذا النقص الجسماني بشيء من العطف الزائد والاهتمام ، أو يقيمون الموازنات والمقارنات بينه وبين أخوته الاصحاء أو رفاقه السليمين فان ذلك سوف يركز من انتباه الطفل على عاهته ويقوي شعوره بنقصه عن الأطفال الآخرين نتيجة نقصه الجسمي .. فينعكس هذا على سلوكه . فاما أن يصبح شخصا منكمشا ، متباعدا ، منزويا غير مبال ، أو شخصا ناقما ثائرا ، يتجه في نقمته وثورته ضد المجتمع وأنظمته وآدابه ، وتقاليده .

وهناك نوع آخر من الشعور بالنقص ، وهو الشعور بالنقص العقلي أو بالضعف العقلي . فمن الجائز أن يتأخر الطفل في المدرسة الابتدائية كأن يجد نفسه في فصل كل زملائه أصغر منه سنا وقد يكون أغلبهم أكفأ منه . فوجوده في هذه البيئة قد يشعره بالبؤس ويفقده احترام نفسه وتقديره إياها . ومما يثبط همته أن نحط من قيمته بالمقارنة . فكثيرا ما يقارن الآباء أو المعلمون بين طفل وآخر بقصد تشجيع الطفل المتأخر الى العمل والنشاط ، وهذا النوع من الموازنات يأتي غالبا بأسوأ النتائج .

ولعل من أكبر أخطاء الآباء تدخلهم في تفكير الطفل وحديثه وأعماله ولعبه. بمناسبة وبغير مناسبة . فالآباء كثيرا ما يخافون على الطفل ويمنعونه من اللعب وتسلق الأشجار والجري وتفحص الأشياء ، ويصدرون اليه الأوامر والنواهي ليأخذ هذا ويترك ذاك ، كل ذلك بقصد الحماية . ولكنهم لا يدركون أنهم بحمايتهم هذه يفقدونه الصفات الاستقلالية الهامة . فمن المعروف أن من الأشياء المحببة الى نفوس الأطفال الدق ، أو القص . فلا يكاد الطفل يبصر مطرقة الا وحملها ليدق بها أي شيء ولا يرى مقصا الا أراد أن يقص به ورقة أو قطعة قماش . ولكن سرعان ما يتدخل الكبار لمنعه من اجراء تجاربه هذه التي يكتسب منها خبرات جديدة ، خوفا عليه . وقد يعمدون الى تخليص هذه الأدوات منه بالشدة وأحيانا بالعقاب والضرب . فمن الأفضل أن يعطى ألعابا مشابهة مصنوعة من اللدائن حتى لا يصاب بأذى .

وبعض الآباء يغالون في حجز حرية الطفل وتقييد حركاته ، فهم يطعمونه ويلبسونه وحجتهم في ذلك أن الطفل اذا أكل بنفسه سوف يبعثر الطعام ، أو يوسخ ملابسه . ولكن الطفل في الحقيقة اذا قام بنفسه بمثل هذه الأعمال فانه يكتسب مهارات يدوية بسرعة كبيرة ، وعادات الأكل الصحيحة في زمن قصير . بالاضافة الى شعوره بقدرته وهي تزداد يوما فيوما مما يقوي ثقته بنفسه . عرفت سيدة كانت لا تترك ابنها يفعل شيئا . فهي تطعمه وتلبسه وتقوم بحل وظائفه المدرسية ، وتوصله الى المدرسة مـــع أن كل رفاقه كانوا يروحون ويجيئون لوحدهم . فصار هذا الطفل يشعر شعورا خفيا بضعفه وبحاجته الى المعونة ومن ثم فلم يعد له أية ثقة بنفسه تمكنه من الاقدام على أي عمل .

ليس العطف والحنو والتدليل الزائد فحسب يساعد على ضعف الثقة في نفوس الأطفال ، بل الحط من قيمتهم والسلطة الجائرة والجبروت أيضا . بحيث يشعر هؤلاء الصغار بأنهم كائنات لا حول لها ولا قوة يرغمون على طاعة الوالدين دون تردد أو تفكير لا لغاية معينة وانما لمجرد الطاعة . وكذلك نرى أن الكبار يسخرون ويستهزئون من الصغار وقوتهم العاجزة ، وتفكيرهم القاصر . ويجعلون من ضعف الطفولة مصدرا لتسليتهم . وهم بذلك انما يجردون الطفل من أهم سلاح يجب أن يواجه به الحياة ألا وهو الثقة بالنفس .

نلاحظ مما تقدم أهمية الجو المنزلي في تنشئة الطفل ، فاذا كان مليئا بالمحبة والعطف والهدوء والثبات ، كان الطفل في الغالب مطمئنا على نفسه مما يشعره بالاستقرار ويخلق فيه الثقة بالنفس . أما اذا كان جو المنزل مشحونا بالمشاجرات والمنازعات فقد الطفل ثقته بنفسه لفقدانه الاطمئنان والهدوء . فالطفل حساس للغاية يلتقط ما في جو المنزل بنوع غريب من الالهام يطلق عليه المشاركة الوجدانية والايحاء . فليكن جو المنزل متصفا بالطمأنينة والثبات والاتزان ، ولتكن سلطتنا مشبعة بروح الحرية والصداقة ، دون أن نفقد شيئا من الحزم في التوجيه ..

وليس هناك من قواعد ثابتة يمكن أن يتبعها الآباء لمعالجة الناشئين الذين يتصفون بضعف الثقة بالنفس ، اذ لكل حالة ظروف خاصة بها تتفاعل مع جو الأسرة والبيئة المحيطة بالطفل . ولكن كل ما نستطيع قوله انه لا بد للآباء الذين يريدون أن ينشئوا أطفالا يتمتعون بالصحة النفسية الى جانب الصحة الجسمية والعقلية أن يعلموا أن خبرات الطفل وعواطفه واحساساته تتكون بالتدريج ، وليس بصورة مفاجئة . ولذلك فان الانتقال المفاجيء في المعاملة من اللين والعطف الزائد الى الحزم الشديد والعقاب سيترك آثارا سيئة في نفوس الأطفال . وكذلك فمن المستحسن أن يتجنب الآباء كل سلوك يشعر الطفل بقصوره وضعف جسمه وقوته الى جانب قوتهم وجبروتهم . وليدعوا مرحلة الطفولة تمر بهدوء وسلام مشاركين الطفل نشوته وفرحته لكل نمو ونشاط يطرأ على حركاته ، أو عند اكتسابه أية مهارة جديدة ، متبعين في ذلك الطرق المعتدلة دون مبالغة أو اهمال.

وضعف الثقة بالنفس ، لا يقتصر على مرحلة الطفولة . فاذا وجد هذا الضعف ربما جارى مراحل الحياة كلها . وقد يتبادر الى الذهن أن الأيام كفيلة من تلقاء نفسها بالقضاء على تلك المعضلة ، الا أن الواقع يثبت عكس ذلك . فضعف الثقة بالنفس يزداد وضوحا وتعقيدا كلما واجه المـــرء المجتمع وتشعبت علاقته بالآخرين . وما لم يكن لدى الشخص عزم وارادة قوية للتخلص منها فان الأيام بمفردها لن تفيده شيئا . فمن أهم وسائل التخلص من هذه العقدة أن يتعرف المصاب على قدراته ويدرك نواحي القوة والتفوق في شخصيته ، وان يقوم باستغلال هذه النواحي كأحسن ما يكون الاستغلال ، وان يبني تفاعله مع المجتمع على أساس هذا الادراك لنواحي القوة والضعف فيه .

ومعلوم انه اذا كان تفاعل المرء مع مجتمعه قائما على أساس من التقدير الصحيح لامكاناته ، وعلى أساس معرفته الواعية بقدراته ، فانه يبلغ أقصى ما يستطيع من نجاح في مجال عمله وهذا النجاح يعيد له اعتباره ويزيده ثقة بالنفس ونجاحا تلو نجاح فيشعر أنه كفء للقيام بمختلف الأعمال وانه لم يعد بحاجة الى من يرعاه ويقضي عنـــه شؤونه كما تعود أولا .

الصفحة الضاحكة

الجواب على قدر السؤال

ربح اسكتلندي جائزة بمبلغ ٥٠ دينارا فجاءه صحفي يسأله حديثا لصحيفته :
الصحفي : ما هو أول عمل ستفعله بالمال ؟
الاسكتلندي : أعــده .

الجزاء من نوع العمل

كانت مدرّسة تسوق سيارتها بسرعة هائلة . ولما أحضرت الى المحكمة سألها القاضي : ما مهنتك؟
المدرّسة : مدرسة يا سيدي .
القاضي : هل خالفت قانون السير ؟
المدرّسة : نعــم .
القاضي : اذن أجلسي واكتبي الجملة « يوسفني تجاهل القانون » خمس عشرة مرة .

براءة

كان طفل شاهدا في قضية ، فلقنه المحامي ما سيقوله في المحكمة حتى حفظه عن ظهر قلب . فلما انعقدت المحكمة سأل القاضي الشاهد .
القاضي : ما اسمك ؟
الطفل : كانت السيارة تسير بسرعة هائلــة وكان السائق ...



منطق

رأى رجل أن ابنه يتأخر في النهوض من النوم . فقال له ذات صباح :
الأب : يا بني ان رجلا خرج مــن بيته باكرا فوجد كيسا مملوءا بالدراهم .
الولد : يجب أن يكون الذي ضيع الكيس خرج باكرا أيضا .

يربطون الحجارة

دخل اعرابي قرية لأول مرة فهاجمته كلابها فأراد أن يأخذ حجرا من الأرض فلم يجد فقال :
لعن الله أهل هذه القرية يطلقون الكلاب ويربطون الحجارة .



فاضلة

قال رجل لجحا : أتحسن الحساب بأصابعك ؟
جحا : نعم .
الرجل : خذ جريبين من حنطة ، فعقد الخنصر والبنصر .
ثم قال له : خذ جريبين شعيرا ، فعقد السبابة والابهام وأقام الوسطى .
قال الرجل : لــم أقمت الوسطى ؟
جحا : لئلا تختلط الحنطة بالشعير .



ذاكرة

الأول : اني قوي الذاكرة فكل شيء يدخل دماغي لا يمكن أن أنساه .
الثاني : اذن كيف نسيت المائة ريال التي استلفتها مني ؟
الأول : لأنها دخلت جيبي لا دماغي .

عصامي

الأول : أستطيع أن أقول بأنني عصامي بدأت من الحضيض وارتفعت الى القمة .
الثاني : وكيف كان ذلك ؟
الأول : بدأت حياتي بمسح الأحذية والآن أصبحت حلاقا .

التجربة خير برهان

الأول : كان فلان رحمه الله رجلا صبورا يتحمل المصائب والنكبات .
الثاني : وكيف عرفت ذلك ؟
الأول : لقد تزوجت أرملته .

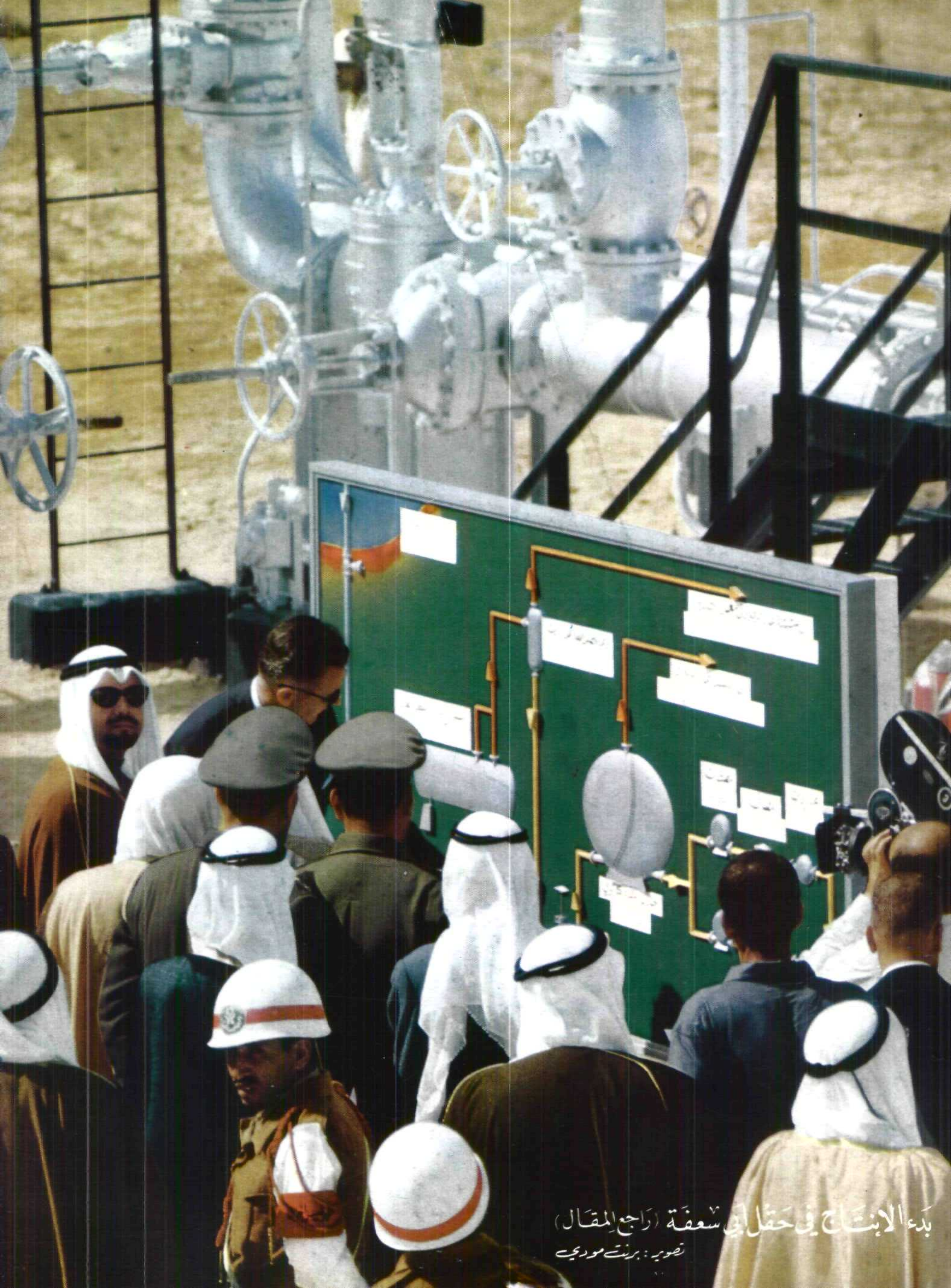

طبيب العيون — طبيب الأنف والأذن والحنجرة — طبيب العظام


طبيب الأطفال — طبيب الأمراض الباطنية — الطبيب النفساني



طبيب الأسنان واحد ... اثنين ....

بريشة الفنان السعودي انور عقاد



بدء الانتاج في حقل ابي سعفة (راجع المقال)

تصوير : برنت مودي